كلنا سوريون
سياسية ثقافية نصف شهرية

١٥/حزيران/ ٢٠١٤ | العدد ـ ٨ ـ السنة الأولى | ١٢ صفحة | newspaper.allsyrians.org

عدسة: جلال مامو

نحاول أن تكون فضاءً إعلاميّاً مفتوحاً على الشأن السوريّ، وتشارك السوريّين حياتهم في بلاد النزوح، ونسعى لأن تكون ساحة لتبادل الرأي وتبادل المعلومة، محاولة جادّة للمساهمة في صناعة إعلام سوريّ جديد وجدّي، يساهم بدوره في صياغة وعي وطنيّ سوريّ جامع، يؤسّس لصياغة الهويّة الوطنيّة الجامعة .

من يرسم خارطة المنطقة من جديد؟

سورية أوّلاً.. سورية ثانياً... سورية دائماً

الكراهية... نتاج استبدادٍ وتعصّبٍ وخوف

عدسة: عبدالله حكواتي

هل يمكن استعادة الوجه الحقيقيّ للثورة السوريّة؟؟

لا يختلف السوريّون كثيراً حول الأسباب التي أدّت لانفجار الثورة السوريّة (هذا إذا استثنينا رواية النظام السوريّ عن المؤامرة الكونيّة)، باختصار شديد، لقد انفجرت الثورة السوريّة بعد عقود طويلة من سيطرة نظام دكتاتوريّ لا وطنيّ، ولّد تناقضاً حادّاً وعميقاً بين بنية هذا النظام وآليّات إدارته للمجتمع والدولة، وبين حاجات المجتمع الأساسيّة في العيش والحقوق والحرّيّات.

على وقع هذا التناقض وبتأثيره انفجرت الثورة السوريّة، ولعلّ النظام السوريّ هو الطرف الذي كان أكثر إدراكاً لحقيقة هذا التناقض وجوهره، وعلى أساس إدراكه هذا عمِل جاهداً لإبعاد هذه الثورة عن تناقضها الرئيس، وزجّها في حقل تناقضات مختلفة تكفل له التحرّك بهامش أوسع وتتيح له أيضاً أن ينقل هذه التناقضات من حقل (المجتمع – النظام) إلى حقل (المجتمع – المجتمع). ولهذا فقد بادر ومنذ اللحظات الأولى إلى جرّ الثورة باتجاه حقل الصراع الطائفيّ وإلباسها ثوب التطرّف الدينيّ مستعيناً على ذلك بخصوصيّة تركيبة المجتمع السوريّ.

لم ينجح النظام في إبعاد الثورة السوريّة عن تناقضها الرئيس وحسب، بل وكرّس فعلاً تناقضات كثيرة موجودة داخل بنية المجتمع السوريّ لكنها كانت منحاة جانباً ، فعمّقها ودفع بها إلى الواجهة لتصبح تناقضات أكثر حدّة، الأمر الذي يستثمره الكثيرون الآن، ويرفعون صوتهم بأنّ مصلحة الوطن تتطلّب تجاهل التناقض الرئيسيّ الذي فجّر الثورة، والانتباه فقط للتناقضات التي ولّدها النظام.

ما عَمّق من أزمة هذه الثورة، وساهم في خلق التناقضات الجديدة، هو فتح النظام لأبواب سوريا واسعة أمام التدخّلات الخارجيّة بدءاً من إدارة اطراف خارجية للصراع نيابة عنه، وصولاً إلى التدخّل العسكريّ المباشر والفظّ، وانتهاءً بتكريس احتلالٍ بدأت ملامحه تتّضح وتزداد وقاحة يوماً بعد يوم، والذي مهّد الطريق واسعاً أمام هذا التدخل السافر الذي يقترب من صيغة الاحتلال هو انعدام أيّ وجه وطنيّ أو أيّة مسؤوليّة وطنيّة أو حتّى أخلاقيّة لدى هذا النظام، والذي استعمل كلّ قوّته العسكريّة وكلّ ما يتفتّق عنه عقله الإجراميّ، فقتل بوحشيّة واغتصب وجوّع ودمّر وهجّر، ليضع الشعب السوريّ أمام خيارين هما بقاء هذا النظام أو موت هذا الشعب.

ولم تكن الواجهات السياسيّة التي تزعّمت هذه الثورة وفُرِضت عليها، سواء من الخارج أو بحكم الظرف الموضوعيّ، إلّا عاملاً آخر يضاف إلى مسبّبات تشتّت هذه الثورة وعامل إضعافٍ لها عبر خدمتها للخطّة التي وضعها النظام في تطييف الثورة وتطرّفها، معتقدة أنّها بتطييف الثورة وبالسكوت عن تطرّفها تُكسِبها عنصر قوّة.

إنّ إعادة الثورة السوريّة إلى حقلها الأوّل وإلى مركزة الصراع حول تناقضها الرئيسيّ، هو المدخل لانتصار هذه الثورة، هذه العودة التي لابدّ منها والتي تزداد صعوبة كلّ يوم ولكنّها تبقى المخرج الوحيد لنا كسوريّين ثُرنا على نظام دكتاتوريّ يقف ممانعاً لكلّ تطوّر حقيقيّ أمامنا كشعب.

إذا كانت الحقيقة الأولى التي يدركها السوريّون تكمن في أن رحيل هذا النظام هو بوّابة انتقال سوريا إلى المرحلة القادمة، هذا الرحيل الذي يعني في جوهره تفكيك هذه العصابة المتشابكة المصالح داخليّاً وإقليميّاً ودوليّاً، فإنّ الحقيقة الثانية التي يدركها السوريّون أيضاً، هي أنّ تطييف الثورة وارتفاع الصراخ والتحشيد الطائفيّين ساهم كثيراً في تأخير انتصار هذه الثورة وفي بقاء هذا النظام، وتأتي الحقيقة الثالثة والتي أدركها السوريّون أيضاً، وهي أنّ تعدّد الواجهات السياسيّة والعسكريّة للثورة ساهم في تفتيت جسد هذه الثورة وإضعافها .

الآن....، هل يمكننا استعادة الوجه الحقيقيّ لثورتنا وإعلاء كلمة الوطن فوق كلّ الاعتبارات؟ هل يمكننا أن نعمل لتوحيد قوى الثورة في هيكل سياسيّ وعسكريّ واحد مُعلِين مصلحة الوطن فوق مصالحنا الشخصيّة والحزبيّة حتّى إتمام اسقاط هذا النظام؟.

لعلّ التحدّيات التي واجهت هذه الثورة وأدّت إلى كلّ هذا الخراب والتهجير والقتل، تدفعنا إلى تحمّل هذه المسؤوليّة التاريخيّة التي تواجهنا، ولعلّ إعادة صياغة تمثيلاتنا السياسيّة والعسكريّة على نحو يرفع بشكل حقيقيّ شعار: الوطن أوّلاً وثانياً وعاشراً.

هل نحن بحاجة ماسّة لمؤتمر وطنيّ حقيّقي يحضر فيه من يحضر الوطن أولاً في عقله وقلبه ومن يحمل هاجس بقاء سوريا وطناً لكل أبنائها ؟؟.

بسّام يوسف

«داعش»!!.. هل هناك سايكس بيكو جديدة؟؟

«داعش» .. الخيار الشمشونيّ للطغاة

لم يكن أشدّ المتفائلين وأكثر المندفعين من مجاهدي «البغداديّ القرشيّ» ليتخيّل أنّ مقاتلي «الدولة الإسلاميّة في العراق والشام» سيكسرون حدود سايكس وبيكو، ويوحّدون أوصال الدولة المتقطّعة بحدود الطغاة المصطنعة التي تحرسها جيوش «النصيريّة والروافض».

مصطفى الجرادي

من العراق إلى سوريا... انبثاقات جديدة للقاعدة

يُوضح الاستيلاء على مدينة «الموصل» العراقيّة يوم الثلاثاء الكثير من المخاوف الأمريكيّة، والقلق المتزايد حيال ما يجري، وما يمكن أن ينجم عنه من مخاطر تهدّد وبشكل مباشر مصالح الأمن القوميّ الأمريكيّ، جرّاء توسّع طموحات القاعدة من العراق إلى سوريا، ومن ثمّ إلى أبعد من ذلك.

ترجمة: مها الخضّور

بين الـ «نحن» والـ «هم» جرائم الكراهية تسود سوريا

ص ٨

مع استمرار الحرب في البلاد لأكثر من ثلاثة أعوام، يبقى هنالك تساؤل ملحّ لا يغيب عن ذهن الناظر إلى خارطة الأزمة السوريّة، ألا وهو، هل ما يحدث الآن في سوريا من الاقتتال اليوميّ أو المتقطّع يرتقي إلى جرائم كراهية؟

المحامي: محمّد حمو

مقاتل أم قاتل؟

ص ٩

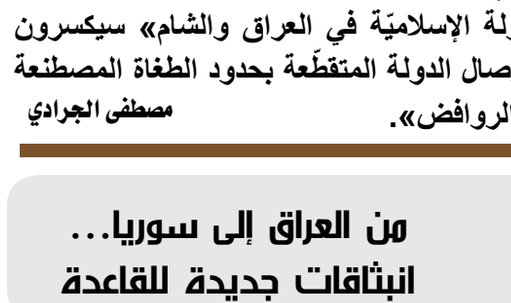

تبدو الدراسة النفسيّة لسمات شخصيّة القنّاص والأسباب التي دفعته للقيام بهذا السلوك معقّدة نسبيّاً لصعوبة الوصول إلى هذه الفئة من الأشخاص والتعامل معهم إلّا في نطاق علم النفس القضائيّ أو الجنائيّ، وهذا ما يعدّ غير ممكن ولاسيّما في حالات الحروب والنزاعات المسلّحة وغياب سلطة القانون والقضاء.

جلّنار صادق

هل تقدّم إيران خطّة للحلّ، أم تسعى لتدمير ماتبقّى؟

ص ٢

هل إيران هي المعنيّة الوحيدة بصناعة الحلّ، وعبر حزب الله وجيش الدفاع الذي شكّلته في سورية؟
أم أنّها تريد تجريب سلاحها النوويّ الجديد فوق رؤوس شعب لم يدرك الموت التام؟

لؤي حاج بكري

علمانيّة أم أسديّة؟

ص ٣

إنّ نظام الأسد لم يكن يوماً علمانيّاً باحثاً عن المواطنة، بل كان ناسخاً لها عبر كلّ ممارساته اليوميّة.
كون الأسد لا يتبنّى الفكر الدينيّ هذا لا يعني أنّه علمانيّ، بل إنّ فيه الكثير من الطائفيّة المقيتة.

باسل العبدالله

دور الثقافة في تعزيز التعايش المشترك

ص ١٠

ليس الحوار من أجل التفاهم والتواصل بين الأفراد والجماعات بالجديد في تاريخ البشر، فمنذ بدء الخليقة والإنسان في حوار مستمرّ لم يقتصر على بني جلدته بل تعدّاه إلى كلّ الكائنات. فالحواريشكّل زاداً معرفيّاً وفكريّاً وروحيّاً وبوصلة يسترشد بها المثقّف من أجل ترسيخ مبادئ العيش المشترك بين مكوّنات الشعب السوريّ.

أحمد إسماعيل إسماعيل

تحقيقات العدد

ص ٦ ـ تغيب الكهرباء وتَهدُر المولّدات
ص ٦ ـ شعلة الثورة في الريف الحلبيّ
ص ٧ ـ الحواجز الأسديّة في درعا
ص ٧ ـ «أنا مش كافر، بس البلد كافر»

الإبراهيمي قبل الوداع

كلنا قدّمتُ قائمة لبشار الأسد من تسعة وعشرين ألف شخص في سجونه وأعطيتُ نسخة من القائمة إلى مكتبه.

الأخضر الإبراهيميّ (١٩٣٤-.....) سياسيّ ودبلوماسيّ جزائريّ، كان وزيراً لخارجيّة بلده بين عامي ١٩٩١-١٩٩٣، ثمّ مبعوثاً للأمم المتّحدة إلى أفغانستان والعراق، في آب ٢٠١٢ عيّن مبعوثاً مشتركاً للجامعة العربيّة والأمم المتّحدة إلى سوريا، خلفاً للأمين العامّ السابق للأمم المتّحدة «كوفي عنان». حتى ١٣ أيّار ٢٠١٤ حيث أُعلنت استقالته.

التقته «دير شبيغل» المجلّة الأسبوعيّة الألمانيّة في ٨ حزيران الحاليّ عبر لقاء مطوّل نقتطف منه أهمّ ما طُرح فيه.

حين تسأله المجلة: لقد استقلت من منصبك كمبعوث الأمم المتّحدة، بعدما أعلنت أنّ مهمّة تحقيق السلام في سوريا تبدو مهمّة مستحيلة التحقيق، ما الذي كنت تصبو إليه؟ يجيب الإبراهيميّ: «الفكرة كانت ولا زالت هي أنّ المطلوب من بشّار الأسد ليس البقاء رئيساً بل الانتقال المنظّم للسلطة ـ بمشاركته طبعاً ـ للوصول إلى سوريا الجديدة، هذا ما حاولت فعله وما أزال أحلم به».

وحول الخلاف حول شخص الرئيس، أجاب: «دائماً كانت مسألة الرئيس عقبة ضخمة، ولم يأتِ وفد النظام إلى جنيف إلّا لإرضاء الروس، وقد جاؤوا وهم يعتقون أنّهم ربحوا عسكريّاً، وقد أخبرتهم حينها أنّني متأكّد أنّ التعليمات التي صدرت من حكومتكم هي أن تذهبوا للمفاوضات ولكن دون تقديم أيّة تنازلات أو مناقشة أيّ وضع خطير».

ولدى سؤاله: هل يعلم الأسد بالطريقة التي يدير بها جيشه الحرب، أجاب بثقة متناهية: «مئة في المئة. إنّه يعرف الكثير من المعلومات، ربّما لا يعرف جميع التفاصيل حول كلّ ما يحدث في سوريا ولكنّي متأكّد من معرفته بتعذيب الناس وقتلهم وبإلقاء البراميل المتفجّرة وتدمير المدن، إضافة إلى أنّه لا يستطيع أحد أن يتجاهل حقيقة أنّ هناك مليونان ونصف المليون لاجئ، وقد يصل عدد اللاجئين إلى أربعة ملايين هذا العام، بالإضافة إلى ستة ملايين شخص مشرد داخليّاً. إنّه يعرف أنّ هنالك على الأقلّ خمسين ألف إلى مئة ألف سجين في بلده يتمّ تعذيب بعضهم بشكل يوميّ». تسأله المجلة: هل تستطيع مواجهته بهذه الحقائق؟ يجيبها: «بالتأكيد! تحدّثتُ إليه، وقدّمت له قائمة من تسعة وعشرين ألف شخص موجودين في سجونه».

وعلى سؤال: هل النظام هو المذنب الرئيسيّ أم أنّ هناك أطراف أخرى متّهمة أيضا؟ يجيب الإبراهيميّ: «جرائم الحرب ترتكب من الطرفين، عندما يمكنك منع الماء والغذاء من الوصول إلى مئتين وخمسين ألف شخص، ماذا يمكنك تسمية هذا الأمر؟ وفي الوقت ذاته، فإنّ بعض الجماعات المسلّحة أيضاً تستخدم المدنيّين كدروع بشريّة. ولكنّ النظام لا يزال يمثّل الدولة ولديه جيش قوامه ثلاثمئة ألف جنديّ، ولديه الطائرات التي لا تمتلكها المعارضة».

وحين سؤاله هل أخطأ الغرب قراءة ما حدث في سوريا؟ يقول: «نعم، والجميع اعتقدَ أنّها ستكون مثل تونس أو حتّى ليبيا لكنّ الأمر أصبح واضحاً أنّه معقّد أكثر من ذلك بكثير، وبالرغم من ذلك، يسعى الكثيرون إلى دعم أطراف النزاع بمجهود حربيّ بدلاً من جهود السلام».

ويجيب على سؤال: لو دعم المجتمع الدوليّ الجيش الحرّ بأسلحة منذ البدايات، هل كان النظام سقط وتمّ انتقال سلميّ للسلطة؟ «لا أعتقد ذلك، بل كان من المفترض أن يتدخّل الجيش السوريّ النظاميّ لخلع الرئيس، ولو أنّ المجتمع الدوليّ دعم الجيش الحرّ لتدخّل الجيش السوريّ للدفاع عن نظامه».

أما حين سئل عن رأيه بتجربة حمص وهل من الممكن أن تكون نموذجاً لأماكن أخرى مثل حلب؟ يجيب: «الحكومة جوّعت المواطنين لإرغامهم على الاستسلام، رغم ذلك فإنّ الكثير ممّا جرى يمكن أن يكون جزءاً من حلّ سياسيّ على الرغم من اعتقال العديد ممن سلّموا أنفسهم وحتّى تعذيب بعضهم وقتلهم».

وحين سؤاله عن امتلاكه خطّة لإنهاء الصراع؟

أجاب الإبراهيميّ: «التدخّل العسكريّ أمر خطير جدّاً، أمّا بالنسبة لتدخّل الأمم المتّحدة فهو ممكن كمهمّة حفظ سلام، كجزء من حلّ متّفق عليه. لدى الأمم المتّحدة حوالي ٢٠٠٠٠-٣٠٠٠٠ جنديّ بإمكانهم مساعدة السوريّين على تنفيذ أيّ اتفاق، ومن ثمّ سيكون عليهم مواجهة «داعش» والجماعات المتطرّفة الأخرى».

وفي سؤال أخير تساله المجلة: ما هي تصوّراتك لسوريا في المستقبل القريب؟ يجيب بلا تردد:

«ستصبح صومال جديدة ولن يتمّ تقسيمها كما ظنّ البعض بل ستستمرّ في الانهيار وخلق أمراء الحرب في كلّ مكان منها....»

وقد طرحت في الأيام السابقة بعد استقالة الإبراهيمي أسماء عديدة لتخلفه في هذه المهمة المعقدة، وقد كان «بان غي مون» الأمين العامّ للأمم المتّحدة طرح هذه المهمة على «عمرو موسى»، إلا أن الأخير اعتذر بعد أسبوع من التفكير.

ثمّ تمّ الإعلان عن اختيار الهولّنديّة «سيغريد كاغ» وسيطاً للسلام؛ وهي سيّدة أنيقة وأمّ لأربعة أولاد، وتتكلّم ستّ لغات، بينها العربيّة، بطلاقة. وهي رئيسة للبعثة الدوليّة المكلّفة بتدمير الترسانة الكيميائيّة السوريّة، وتشغل «كاغ» حاليّاً منصب مساعدة الأمين العامّ للأمم المتّحدة.

المحرر السياسي

هل تقدّم إيران خطّة للحلّ، أم تسعى لتدمير ماتبقّى؟

كلنا هل إيران هي المعنيّة الوحيدة بصناعة الحلّ، وعبر حزب الله وجيش الدفاع الذي شكّلته في سورية، أم أنّها تريد تجريب سلاحها النوويّ الجديد فوق رؤوس شعب لم يدرك الموت التام

بعد أن قدّم الأسد بحربه المجنونة سيطرة واضحة للحوالش والدواعش، وبعد أن سبّب كلّ ذلك القتل والتدمير والتشريد إضافة لكلّ تلك الفوضى، ها هو وبانتخاباته الأخيرة لا يعلن سوى قطع طريق على أيّ حلّ سياسي، معبدّاً، كما يبدو، طريقاً آخر للخطّة الإيرانيّة التي أعلن عنها سيّده اللبنانيّ بصيغة الحلّ السوري الذي يبتدأ بالأسد.

إنّ ما يظهر من مؤشّرات أوليّة لتلك الخطّة، تقوم على إطلاق سراح بعض المعتقلين والحديث عن وقف لإطلاق النار، وصولاً لتشكيل حكومة تضمّ بعضاً من أطراف المعارضة، مع توسيع لصلاحياتها ومهامّها لتشمل تعديلات دستوريّة جديدة، في ظلّ سلطة الرئيس المنتخب وعلى الجيش بصورة أساسيّة، قد يدفع للاعتقاد بالنهاية البائسة للثورة السوريّة، كما في النهاية التي آلت إليها الثورة المصرية، في ظلّ تخوّف دوليّ من وصول الإسلاميّين إلى السلطة في هذه المنطقة من العالم.

إذا كان التشابه في عملية انتزاع الشرعيّة في كلا البلدين، دافعاً قويّاً لذلك الاعتقاد، فإنّ ما جرى في سورية من وقائع ومتغيّرات مختلفة، يثير العديد من التساؤلات، حول الهدف الإيرانيّ من تلك الخطة.

بعيداً عن الساحة المصريّة، وتأكيداً على الاختلافات الهامّة في الوضع السوري، وفي شدّة مأساويّته، وفي تداخلاته الإقليميّة، فإنّ ما يجري التخطيط له في طهران، لا يبدو قابلاً للتطبيق على الأرض، فإذا كان الانهيار شبه الكلّيّ للمجتمع السوريّ، وعلى مدار السنوات الثلاث الفائتة، قد أوحى للنظام الإيرانيّ وعملائه في دمشق بأنّ ساعة النصر قد دقّت، وبأنّ الشعب الذي أعلنوا الحرب عليه قد أصبح في أسوأ حالات العيش، ممّا يحتّم رضوخه وانصياعه بحثاً عن أيّ شكل من أشكال حياة، محاولين تقديم بعض الاجراءات الأوليّة، تحت مسمّيات مقدّمات الحلّ السياسيّ السوريّ الذي يبتدأ بإعادة انتخاب الأسد، فإنّ ذلك قد لا يختلف كثيراً عمّا ابتدعه الأسد ذاته بداية الثورة، حين أصدر كلّ تلك الاعفاءات المتتالية عن المعتقلين والمساجين، واستقبل كلّ تلك الفعّاليّات الشعبيّة، ومن ثمّ أطلق مشروع الحوار الوطنيّ الذي توجّ بالمؤتمر الكبير الذي قاده فاروق الشرع، ليتوصّل لإقرار دستوره العتيد، وليشكلّ الحكومة التي تمخّضت عنهما، وبمشاركة من هللّ إعلامه لهم تحت تسمية المعارضة الوطنيّة الوحيدة، الممثّلين بشخصيّ قدري جميل وعلي حيدر، بهذه الاصلاحات التي تحقّقت كان الردّ الأكثر وحشيّة في تاريخ كلّ الأنظمة، حيث استخدمت سلطة حاكمة لأوّل مرّة في التاريخ كلّ هذه الكميّة من الأسلحة الفتّاكة والمدمّرة بحقّ شعبها، من كلّ صنوف الأسلحة الكيميائيّة، إلى صواريخ السكود، إلى البراميل التي دمّرت في سوريا أكثر ممّا دمّرته مئات من الحروب بين الدول.

من جهة ثانية فإنّ ما يجري في العراق من سقوط مدوٍ لسلطة المالكيّ في مناطق تمركز العرب السنّة، وإبراز داعش إلى الواجهة كقوّة أساسيّة، والأحاديث الأوّليّة عن إمكانيّة إقامتها لدولة ممتدّة من سامراء حتّى حدود حلب، وضرورة إنهاء الثورة السوريّة بحجّة محاربة الإرهاب السنّيّ، قد لا يحقّق للخطّة الايرانيّة أيّ تقدم يذكر، في ظلّ ما يظهر، كانهيار لسلطة المالكي التي فشلت في إقامة الدولة العراقيّة وفقاً لمحدّدات العملية السياسيّة التوافقيّة، أكثر منه ظهوراً لقوّة داعش التي تعاني من ضعف القاعدة الاجتماعيّة، والتي تطالها كلّ الأحاديث حول علاقاتها الخفيّة بإيران وعملائها، كما في استمرارها في السيطرة على الرقّة منذ أكثر من عام ونصف ، في الوقت الذي تتعرّض كلّ المناطق الخارجة عن سيطرة النظام لعملياته التطهيريّة، وكما في بيعها النفط للنظام السوريّ، وكما في محاربتها لقوى المعارضة المسلّحة وقتلها وخطفها للمدنيين دون قدرتها على تحقيق أيّ تقدّم يُذكر.

بهذه المشاهد اليوميّة التي لا يمكن أن نغضّ الطرف عن رؤيتها، لا يمكن لنظام الملالي في إيران أن يفرض على سورية أجندته في حلّ يزيد فيه المأساة عمقاً، ولا في إقامة حرب قوامها فرض النفوذ الشيعيّ بوجه ما يراه إرهابا سنيّاً.

مع الدعوة لوقف القتال والحفاظ على ما تبقّى من وطن، ومع الدعوة للاستمرار في محاربة الإرهاب الفعليّ الواقع على الشعب السوريّ المتمثّل بكلّ الدواعش والحوالش، والتي تتصدّى لها قوى الثورة السورية بشكل فعليّ، ينبغي البحث عن الحلّ الممكن والمستند إلى تلك المشاهدات.

هل إيران هي المعنيّة الوحيدة بصناعة الحلّ، وعبر حزب الله وجيش الدفاع الذي شكّلته في سورية، أم أنّها تريد تجريب سلاحها النوويّ الجديد فوق رؤوس شعب لم يدرك الموت التام.

إنّ الحلّ لا يمكن أن يكون حلّاً مالم تتّفق عليه جميع الأطياف السوريّة، كما لا يمكن أن يتحقّق إلّا بمشاركة كلّ القوى الإقليميّة والدوليّة، بحكم كلّ ذلك التدخّل الحاصل في الشأن الداخليّ السوريّ، وبحكم كلّ ذلك الدعم القائم للمعارك الجارية على الأرض التي تحوّلت إلى ساحة صراع على النفوذ، وإلى حلبة صراع لمصالح الآخرين، أرض كان النظام القويّ الممانع قد أعلن في بداية الثورة عليه «بأنّه سيفجّر المنطقة بأسرها على من يقترب منها»، فلم يقم سوى بتفجير البيوت فوق رؤوس السوريّين، ولم يحصد سوى تفجير الأرض التي تقف عليها قوّاته وأتباعه، ولم يقوَ سوى على فتح الباب للدخول إليها، ولم يذهب ضحيّتها سوى الشعب الذي ارتُهن لهذا النظام الذي تحوّل بدوره إلى عصابات إجرام حقيقيّة.

لؤي حاج بكري

علمانيّة أم أسديّة؟

كلنا: إنّ نظام الأسد لم يكن يوماً علمانيّاً باحثاً عن المواطنة، بل كان ناسخاً لها عبر كلّ ممارساته اليوميّة. كون الأسد لا يتبنّى الفكر الدينيّ هذا لا يعني أنّه علمانيّ، بل إنّ فيه الكثير من الطائفيّة المقيتة.

المراقب لنظام الأسد منذ وصول الأب عام ١٩٧٠ إلى سدّة الحكم، ثمّ توريث الابن وحتّى اليوم، يلاحظ ارتباطاً مستمرّاً بمظاهر دينيّة ورجال دين، وحرصاً على الظهور في المناسبات الدينيّة.

وتبع الابن أسلوب الأب ذاته فسلّط الإعلام لمواكبة حركاته، وكرّسه لمحاربة المنتفضين عليه، عن طريق كيل الاتّهامات بأنّهم تابعون لتنظيم خارجيّ، وأنّهم ممولون من الخارج، وأنّه رجل دين ودولة، عن طريق إظهار رجال الدين الموالين له عبر الإعلام الخارجي، وإقصاء أو التخلص من كلّ من لا يخضع له سياسيّاً.

إنّ الحالة الإسلاميّة التي لعب عليها النظام، هي الحالة الانقساميّة التي لم توحّد العمل أو الجهود لإنشاء وطن، فالنظام عمل على دعم كلّ طرف دينيّ ليدّعي بأنّه هو صاحب فكرة الفرقة الناجية ويكفّر غيره من الفرق أو الطوائف، ويحارب كلّ من لا يتّفق معه بهذه الفكرة، وإن كانوا أولاد طائفته فهو يلجأ إلى الدين، وإنْ انطلق معارضوه من مفهوم الدولة والتعدّدية فيتّهمهم بالعمالة، وإنْ انطلق معارضوه من مبدأ دينيّ أو استندوا إلى مبادئ دينية، يتّهمهم بالإرهاب، ويصوّر نفسه آخر معاقل العلمانيّة!

الدولة العلمانيّة بالمفهوم الحديث تعني فصل الدين عن السياسة، وفصل أنظمة الحياة الاجتماعيّة بكلّ مقوّماتها ومفرداتها عن الدين، والتأسيس لحالة اجتماعيّة لها بعد سياسيّ للفرد (لا يرتبط بالحالات الاجتماعيّة ما قبل المدنيّة).

لأنّ العلمانيّة تقف بوجه من يحتكر الدين فلا علاقة لها بالطقوس والشعائر الخاصّة بالإنسان، فهو حرّ في أن يطبّق ما شاء، وهذا ما نصّت عليه مواثيق حقوق الإنسان.

والآن، لو أعدنا النظر بالدساتير والأنظمة والقوانين المعمول بها في سوريا والتي تدّعى نظاماً «علمانيّاً» نجد أنّ معظمها مستمدّة من الشريعة الإسلاميّة كمصدر من مصادر القانون، أو من العُرْف، وهو بدوره مستمدّ من البيئة الإسلاميّة المتواترة عبر التاريخ، والنظام السوريّ نظام إسلاميّ ولكن بصورة مدنيّة، وما يدعم هذا التحليل هو دعوة النظام للجهاد مؤخّراً بعد أن رسّخ مفهوم:

من خرج ضدّ النظام هم الطائفيّون!.

والحقيقة إنّ ممارسات النظام الأسديّ المدّعي للعلمانيّة (أو البعث كما يسمّيه الكثير من الإسلاميّين) هي ممارسات تطابق ممارسات الدولة الدينيّة (رغم أنّ الرعيل الأوّل من البعثيين قد حاربوا الحالة الدينيّة واتّجهوا إلى الحالة القوميّة، «عفلق» مثلاً في قوله:

(الدولة الدينيّة كانت تجربة في القرون الوسطى، وتجربة انتهت بالفشل، أمّا اليوم فالقوميّة وحدها هي الأساس، ولا يمكن أن يَفْهم العرب لغة غيرها). ولكن التوجّه الفعليّ للبعث رسّخ مفهوم الله والدين في كلّ شيء، فلم يستطيع البعث ـ مثلاً ـ الاعتراف بفضل أحد مؤسّسيه على الفكر القوميّ الذي يدّعيه، فلم يكتب اسم (ميشيل عفلق) على قبره، بل كتب عليه اسم (أحمد)!

كما أنّ أغلب قوانين الأحوال الشخصيّة وغيرها في النظام السوريّ هي قوانين من العهد العثمانيّ وما زالت تطبّق في المحاكم السوريّة.

حتّى أنّ «الدستور السوريّ» ينصّ بأنّ الرئيس «مسلم» وينصّ على أنّ الإسلام دين الدولة.

فأين العلمانيّة؟؟

إنّه نظام عسكريّ أمنيّ، وهو نظام وراثة من أب إلى ابن، والأب الذي أتى بانقلاب عسكريّ. وهو أكبر داعم للمجموعات الجهاديّة (حزب الله، وفتح الإسلام وحماس، والجهاد الإسلامي، وحركة أمل، والكثير من الحركات الجهاديّة في لبنان والعراق والأردنّ)، وإنّ هذا النظام غدا اليوم نظاماً ملحقاً بالنظام الإيرانيّ الذي يعتبر نفسه «دولة إسلاميّة» جاءت بعد «صحوة دينيّة» ويريد أن يعمّمها.

إنّ نظام الأسد لم يكن يوماً علمانيّاً باحثاً عن المواطنة، بل كان ناسخاً لها عبر كلّ ممارساته اليوميّة، والشيء الوحيد الذي فعله هذا النظام هو إلغاء الدين من البطاقة الشخصيّة ولكن بقيت له سجلّات وقوانين تحاسب الإنسان إن أبدل دينه، وقد عمّقها عبر إعطاء البعض المجال لنشر آرائهم التي تناسبه كـ (القبيسيّات والحسينيّات والبوطي) بواسطة المعاهد الدينيّة أو الأشخاص.

منذ عهد الأب الذي كان حريصاً على الصلاة في كلّ مناسبة بجانب المفتي، انتشرت مدارس «تحفيظ القرآن»، وانتشرت في كلّ المدن السوريّة وخصوصاً في دمشق وحلب، وهي تحمل اسم معاهد «حافظ الأسد» لتحفيظ القرآن.

ثمّ توجّه الإسلاميّون في عهد الابن إلى الجيش والتكلّم بمفهوم الإسلام ودعوة النظام للسماح للجيش بأن تُطلق اللحية على الطريقة الإسلاميّة، كما فعل «محمّد حبش» في كثير من لقاءاته مع أفراد الجيش قبل الثورة، وحارب كلّ آليّة للتمدّن والتطوّر الفكريّ، وقمع الإعلام والثقافة والندوات، وهجّر المفكّرين وسجن كلّ من يحمل رأياً يخالفه، وتحالف مع إيران لإكمال مشروعه، وشغل الفرد بالركض وراء لقمة العيش، من طرف آخر مدّ يد العون للقوى المتأسلمة، كقوّة تسانده لبسط سيطرته في وجه محيطه العربيّ والدوليّ.

وكون الأسد لا يتبنّى الفكر الدينيّ لا يعني أنّه علمانيّ، بل إنّ فيه الكثير من الطائفيّة المقيتة، من حيث حكر المناصب والمنافع على المقرّبين منه من المنتمين لبطانته الفاسدة أو الأشخاص الذين يستطيع أن يحرّكهم باسم الخوف التاريخيّ الذي عزّزه لديهم أو لطائفته الاقتصاديّة التي تنهب مقدّرات الوطن.

باسل عبدالله

أحكام جائرة

كثرت الاتهامات للشعب السوريّ في زمن الحراك السياسيّ الثوريّ، فمنهم من يتّهمه بالخيانة والموالاة، ومنهم من يتّهمه بالخيانة والمعارضة، وهو، في كِلا الحالين، خائن في نظرهم، والمواطن المتّهم لا يدري السبب.

فبعد تمركز المعارضة المسلّحة في معظم أحياء حلب، الشعبيّة الفقيرة والعشوائيّة وذات الكثافة السكّانيّة العالية، تركّز قصف النظام على تلك الأحياء بشكل جنونيّ بقصد طرد المعارضة المسلّحة أو قتل عناصرها. لكنّ الذي ظُلم أوّلاً وأخيراً هم السكّان الآمنون، وهم الذين لم يؤخذ برأيهم لدى دخول الجيش الحرّ، ولا عند تمركز الجيش النظاميّ، وبالتالي فإنّ معظم القتلى والجرحى هم من المدنيّين الذين انهارت بيوتهم فوق رؤوسهم، وهذه الحال كانت سبّباً رئيسيّاً في دفع من تبقّى إلى النزوح في بلده، وتحت خطر الموت، من حيّ إلى آخر أكثر أمناً، وهذا ليس جريمة كما تعدّها المعارضة، فالبلد بلدنا، وليس لأحد أن يحدّد المكان الذي نريد أن يسكن فيه، المهمّ أن نحافظ على حياتنا التي هي أغلى من أيّ شيء يتحدّثون عنه، فما اشتعلت الثورة من أصلها إلّا من أجل كرامة المواطن. واليوم، وبكّل أسف، يخرج بعضهم على شاشات التلفزة ليقول:

لم يبق في سوريا إلّا الموالون والخونة!.

إنّ هذا الكلام غير مسؤول وغير منطقيّ، ولا بدّ من محاسبة من يطلقه؟ فهل يظنّون أنّ بإمكان جميع الناس مغادرة بلادهم إلى بلاد أخرى؟ ألّا يرون المهاجرين إلى الدول المجاورة، والذلّ والقهر الذي يعانون؟ ألّا يسمعون بقصص المتاجرة بالفتيات وبيعهنّ بأبخس الأثمان؟ لعلّ من بقي يفضّل الموت على أن يضع نفسه في هذا الموقع، ثمّ من قال:

إنّه بإمكان جميع المواطنين تحمّل أعباء السفر والهجرة وتأمين عمل في بلد غريب أم يريدون للسوريّين العمل كمتسوّلين في بلاد الغربة، ثمّ لو رجعنا إلى المواطنين المساكين الذين يقيمون في الأحياء التي تسيطر عليها المعارضة، وأجرينا إحصاء فهل سنجدهم جميعاً في صفّ المعارضة؟ بالطبع لا، فهم لم يخرجوا لعدم استطاعتهم الماديّة، أو أنّهم خرجوا إلى مناطق أخرى داخل مدنهم أو داخل سوريا، وحين طالت الأزمة عادوا إلى منازلهم لعدم مقدرتهم على تحمّل أعباء الإيجارات المرتفعة، وهذا ينطبق على الأحياء التي يسيطر عليها النظام أيضاً.

اليوم، ونحن نعيش مسرحيّة الانتخابات، يزداد القصف من الطرفين، فالنظام يريد فتح الطرق المغلقة إلى المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، والمعارضة المسلّحة تريد منع النظام من إتمام العمليّة الانتخابيّة والخاسر الوحيد هو المواطن لأنّه هو القتيل، وهو الذي يدفع ثمن هذا الصراع من دمه وممتلكاته. ولو فكر هؤلاء الذين يطلقون نعوتاً مختلفة على هذا المواطن المسكين من خيانة وموالاة أو لو سألوا أنفسهم ترى من سيعوّض المواطن حياته، حياة أبنائه، ممتلكاته التي أفنى حياته في بنائها لما أقدموا على هذا الخطأ الفظيع بحقّ المواطن السوريّ.

وأخيراً أريد أن أطرح سؤالاً على هؤلاء، وأريد منهم جواباً، هل يعتبرون أصحاب رؤوس الأموال واللصوص الذين خرجوا من سوريا محمّلين بثرواتها، ويتابعون في البلاد التي هاجروا إليها جمع الأموال معارضة وطنيّة؟!

إذاً لنكن موضوعيّين في طرحنا ولنتوقّف عن تحميل المواطن السوريّ أكثر ممّا يحتمل!.

ليلاس توما

الطرشان في الزفّة

كلنا: أيّ إنسان قرأ التاريخ.. أيّ تاريخ.. عن أيّة أمّة مرّت في أيّة حقبة زمنيّة سوف يتعثّر بمجموعة من الناس الذين يعيشون على هامش الحياة

تُبهرنا دائماً الأرقام ذات الخانات المتعدّدة، حتّى أنّك دائماً كي تثير انتباه المستمع ودهشته يجب أن تكثر من الأرقام لكي تبدو مُلفتاً ومحطّاً دائماً للأنظار، كان معلّم الصفّ يلغي حصّته التدريسيّة إن كان عددنا عشرة من أصل ثلاثين، والفاجعة الأكبر مع تقدّم السنوات أنّني أصبحت أعي أنّ الأرقام تلاحقني في كلّ مكان، في التلفزيون والراديو، كان سائق الميكروباص يفتح الراديو لنسمع استشهاد عشرة أطفال في فلسطين، موت العشرات في زلزال يهزّ العاصمة بكين، غرق مئة وخمسين شخصاً في عاصفة بحريّة شمال البحر الكاريبي، كانت الأخيرة هي التي تثير انتباهه حين يصفّر صافرة طويلة من بين شفتيه ويقول يا ستّاااااار.. الله يرحمنا... مرّة بينما كان أبي يأخذ قيلولته اليوميّة وسط ذلك الهدوء الذي يشوّشه صوت إذاعة مونتي كارلو وأخبارها سمعتُ المتحدّث الرسميّ باسم حلف شمال الأطلسيّ يقول: أنّه لن يتدخّل لوقف العنف في مكان ما لأنّ عدد الضحايا لم يتجاوز العشرات القليلة وأن المجتمع الدولي صامت لأنّ عدد الضحايا ما زال يضع المسألة ضمن الشأن الداخليّ... ذهلتُ دون أن أعرف من يكون ذلك الفريق أو الحلف فيما يحدث، حتى وقف المعاناة الإنسانية مرهون بالأرقام!

أيّ إنسان قرأ التاريخ.. أيّ تاريخ.. عن أيّة أمّة مرّت في أيّة حقبة زمنيّة سوف يتعثّر بمجموعة من الناس الذين يعيشون على هامش الحياة أو يمكننا أن نسمّيهم بالأحرى:

الطرشان في الزفّة، هؤلاء يدفعون حياتهم ثمن لا شيء، بل أحياناً يدفعون حياتهم ثمناً لأرخص أنواع الموت، فالبعض يتداول الأمثلة الشعبيّة الكثيرة عن التساوي في الموت: /الكفن ليس له جيوب/ /الإنسان لن يأخذ معه شيء/ /الدنيا دار فناء/ وإلى آخره من الأقوال التي تُسكّنُ ألم الأصدقاء (أصدقاء الراحل) وكلّها تدلّ على أنّ الناس سواسية أمام الموت، ولكن لديّ قناعة بأنّ للموت أنواع، رغم حقيقة الموقف فصديقنا المتوفّى فعلاً لم يأخذ شيء ولن تنفعه جنازة ملكيّة أو عابرة، فقد يموت الإنسان كلّ يوم عشرات المرّات، وقد يكون الموت التقليديّ هو الراحة الأبديّة من تلك الهجمات المتتالية لروح الإنسان و كرامتهِ، إنّ تلك الفئة لن تدفع بالضرورة حياتها ثمناً لموقف، فربّما لا تمتلك الموقف، أو لم تحسّ بالحاجة أصلاً للتعبير عن الموقف.

عندما كنتُ في حلب كان هناك بائع فستق «العبيد» (التسمية الأكثر عنصريّة) اسمه صدقي، رجل سبعينيّ يحمّص الفستق كلّ يوم، وزاويته في الحيّ معطّره دائماً بنكهة احتراق حبّات الفستق وانتشار الرائحة عبر مدخنة صغيرة في عربته، والتي بدورها تجذب عشاق المكسّرات الشعبيّة، وترسم خريطة في الهواء تشدّ انتباه العابرين، صدقي منذ بداية الثورة و حتّى آخر مرّة رأيته، كان إنساناً على الهامش؛ أطرشاً في الزفة، والغريب أنّه الإنسان الوحيد الذي التقيته ولم يبدِ رأيه، كنت أتقصّد سؤاله، ما رأيك يا عم صدقي فيما يحدث؟

كان يبتسم ويكمل تحريك الفستق ساخراً من اهتمامي برأيه، مضيتُ و فكرتُ وأخذت أسأل نفسي وأقول صدقي معارض ولكن يخاف البوح، بعدها أقول صدقي مؤيّد ولا يخاف البوح وليس لديه ما يخسره، و كنتُ أظنّه خارج الخريطة وخارج اللعبة كلّها، أصبحت بفترات متقطّعة و بأسئلة مختلفة التركيب، أحاول معرفة رأيه، وكان في كلّ مرّة يثير فضولي أكثر، في حين أنّه يباغت و يتهرّب ولكن ليس خوفاً أو حرصاً على حياته، بل لشيء ما مجهول، خرجتُ من حلب و نسيت القصّة تماماً.

يرنّ هاتفي منذ فترة ليخبرني صديق من حلب عن أحواله وعن المأساة الإنسانيّة في المدينة وفي وسط الحديث رمى خبراً لم يغيّر مجرى الحديث، وقال لي:

«على فكرة صدقي أكل رصاصة قنّاص و مات»..

انتهت المكالمة و انتهت حياة صدقي دون أن أعرف رأيه، ماذا كان يشعر؟ و هل كان لديه رأي من الأساس؟ ظلّ أطرشاً في الزفّة في حياته و موته.

عبدالله غبّاش

كلّنا أخوة

افتَتح مركز «عمران» للدراسات الاستراتيجية الملتقى الثقافي العربيّ الكرديّ التركمانيّ في مدينة غـازي عنتاب يـوم ٣ حزيران ٢٠١٤ وبرعاية المنتدى السوريّ للأعمال تحت شعار الأخوّة تجمعنا، وذلك بعد أن لمس مجموعة من المثقّفين السوريّين الضرورة الملحّة لردم الثغرات التي أحدثها النظام بين ثقافات القوميّات المتعايشة على الأرض السوريّة، ومحاولته الدائمة لخلق كلّ أسباب الفُرقة والتناحر بين كافّة مكوّنات الشعب السوريّ.

ومـن هنا، كـان هـدف الملتقى الـذي حمل عنوان «الأخوّة تجمعنا» إيجاد أرضيّة مشتركة بين الثقافات والقوميّات المتعايشة في سوريا، من عربيّة وكرديّة وتركمانيّة ووو، وضرورة التركيز على ردم الفجوات التي تَسبّب النظام القائم في سوريا بإيجادها بين تلك القوميّات.

بدأ الملتقى بكلمة افتتاحيّة ارتجاليّة من الدكتور مازن شيخاني رئيس المسار الثقافيّ والاجتماعيّ بمركز «عمران» للدراسات الاستراتيجيّة، الذي أشار إلى أهمّية اللقاءات الثقافيّة وتقريب وجهات النظر ودفع الحوار إلى الأمام بين الناس المتعايشين على أرض واحدة ووطن واحد، معتبراً أنّ المسؤوليّة مسؤوليّة الجميع، وفي الدرجة الأولى تقع على كاهل المثقّف.

تلتها كلمة الجهة الراعية (المنتدى السوريّ للأعمال) ألقاها السيد غسّان هيتو، وأكّد فيها على الضرورة الملحّة لردم الثغرات التي أوجدها النظام ما بين القوميّات المتعايشة، موضّحاً أنّ رعاية هذا الملتقى هو من ضمن اهتمام المنتدى السوريّ للأعمال بلمّ شمل الفكر والثقافة السوريّة ودفع الحوار البنّاء إلى الأمام.

ثمّ جاءت كلمة الضيف التركيّ رئيس وقف «بلبل زاده» مدير منبر الأناضول السيد (تورغاي) الذي أكّد على أنّ هذه المكوّنات التي تجتمع في هذا الملتقى إنّما كانت عبر التاريخ نموذجاً للأسرة الواحدة وتجمعها على الدوام روابط الأخوة المتينة.

اختُتمت الكلمات بكلمة للدكتورة تغريد الحجلي وزيرة الثقافة في الحكومة السورية المؤقّتة، التي أكّدت بدورها أيضاً على أهمّية اللقاءات الثقافيّة وتفعيل دور الكتّاب والمفكّرين وكذلك دور المرأة في صنع لوحة جديدة للمجتمع السوريّ.

ثمّ تمّ عرض مجموعة من الأعمال الإعلاميّة المنفّذة من قبل اللجنة المنظّمة تضمّنت عرض مواد إعلاميّة وريبورتاجات، كان الهدف منها التعبير عن تمازج الثقافات العربيّة والكرديّة والتركمانيّة.

وبعد برنامج الافتتاح ـ الذي كان طويلاً وأُلقيت فيه الكثير من الكلمات ـ انتقل المؤتمرون إلى أعمال الجلسة الأولـى من أعمال الملتقى والتي أدارهـا الشاعر السوريّ علي سفر، استعرضت خلالها ثلاث أوراق، قدّم الورقة الأولى الدكتور مازن هاشم رئيس قسم البحوث في مركز «عمران» وأشار فيها إلى أنّ الأخوّة تجمع العرب والكرد والتركمان منذ القديم وهذه الدعوة للحوار رغم أهمّيتها وضرورتها، لكنّ المؤسف أن يدعى الأخ إلى حوار أخيه.

أمّا الورقة الثانية فقدمها الكاتب المسرحيّ الكردي أحمد إسماعيل أشـار فيها إلـى حجم الاضطهاد الذي تعرّض إليه الكرد في سوريا في ظلّ النظام الاستبداديّ، والـذي أغلق الأبـواب أمام أيّ حوار وعمل جاهداً على تفعيل التوترات بين الناس. وأنّ المكوّن الكرديّ حريص كلّ الحرص على التعايش السلميّ الأخويّ مع باقي المكوّنات تحت سقف الوطن الواحد.

وقدم الورقة الثالثة الأستاذ ناصر الحسّو عضو مجلس التركمان وأشار فيها أيضاً أنّ كلّ مكوّنات الشعب السوريّ تعرّضت للاضطهاد والظلم في ظلّ سلطة شموليّة مستبدّة، وتحدّث عن القمع الذي تعرّض له التركمان في سوريا ورغبتهم الحثيثة في التكاتف مع باقي مكوّنات الشعب السوريّ للوصول إلى دولة المواطنة والحرّيّة تحت سقف وطن واحد موحّد.

وقد أعقب الجلسة الثانية نقاشات وحوارات طويلة بين الحضور أكّدت على ضرورة استمرار الحوار والتلاقي وصـولاً نحو سوريا ديمقراطيّة وطنية تعدّدية، دولة المواطنة والحرّيّات.

وفي الجلسة المسائيّة ألقى مجموعة من المثقّفين نتاجات أدبيّة وإبداعيّة، كما قُدّمت موادّ فنيّة منوّعة، عبّرت عن الفولوكلور والأدب العربيّ والكرديّ والتركمانيّ في جوّ من المحبّة والأخـوّة والرغبة بالتعرّف على الآخر من خلال الثقافة.

نستطيع القول ـ ورغم بعض الملاحظات ـ أنّ هذه الخطوة كانت مهمّة وهي في الطريق الصحيح، وهي تذكّرنا أنّنا دون الثقافة والفنّ لن نستطيع أن نبني سوريا الجديدة.

عنتاب/ كلّنا سوريون

مجاز قمر

ما يقارب الأربعين لوحة نثرتها الفنّانة الشابّة «قمر قبّاني» في «نهاوند آرت كافيه» غازي عنتاب، في الأوّل من حزيران، في معرض بعنوان «مجاز»

اختلفت اللوحات بين الفحم والرصاص والألـوان المائيّة، وكذلك المواضيع بين الوجوه البشريّة والأحصنة والأشـياء اللصيقة بالإنسان، فتنقّلت «قمر» بخطوطها وألوانها عبر الظلال، ومرّرت إلينا مشاهداتها وتأمّلاتها بشجن الانتظار، وثبّتتْ بشغف صوراً لشخوص عامّة نعرفها لنقف ونتذكّر، وكأنّ ما أرادته «قمر» هو إيصال حـرارة الشوق والتمّسك بالصورة كأنقى طريقة لالتقاط اللحظة الهاربة. والملفت هو تُميّز قوّة ودقّة الخطوط والعمل على التفاصيل في أغلب لوحات المعرض، وإن كان إدخـال الألـوان يأخذ صبغة تجريبيّة تستحقّ الملاحظة والمشاهدة.

وقـد حضر ت وزيـرة الثقافة في الحكومة المؤقّتة الدكتورة تغريد الحجلي والكثير من السوريّين افتتاح معرض «مجاز» المستمرّ حتى الآن لـ «قمر قبّاني» التي كانت طالبة للفنون الجميلة -قسم الديكور -في السويداء قبل أن تضطرّ لمغادرة سوريا كحال الكثيرين.

عنتاب/ كلّنا سوريون

سوريا في القلب

التقتْ في معهد العالم العربيّ في باريس تحت عنوان «سوريا في القلب « شخصيّات ثقافية وفنانين لإحياء يوم تضامنيّ مع الشعب السوريّ. ومن هذه الشخصيّات الروائيّة سلوى النعيمي مسؤولة العلاقات في معهد العالم العربيّ بباريس، وعيشة إيدير وغوني المسؤولة عن النشر والموسيقى في المعهد، وفنان الكاريكاتور علي فرزات والفنان سميح شقير، والمصور الفوتوغرافي عمّار عبد ربه، وقد نُظّمت نشاطات ثقافيّة وفعّاليّات مختلفة من ندوات ومعارض وحفلات فنيّة.

فقالت سلوى النعيمي إنّ الأوان قد آن لتحيا الشعوب العربية وتنال ما تستحقّه من ثقافة وفن، وإنّ لهذه الشعوب الحقّ بأن تكون حرّة في اختياراتها للأنظمة في بلادها، وهذا هو المطلب الأساسيّ في كلّ الثورات العربيّة التي قامت، وأنّ المهمّ هو الوقوف إلى جانب الشعب السوريّ في ثورته، واليوم التضامنيّ هذا هو لإتاحة المجال للفنانين ليقولوا للعالم، الذي تخلّى الشعب السوري وهو يواجه المجازر، إنّ ما يحدث الآن هو وصمة عار على جبين الإنسانيّة جمعاء.

وتحدّث فنان الكاريكاتير السوريّ علي فرزات عن

سورية كأوّل أبجديّة وأوّل نوتة موسيقية، وأنّ سورية هي الوطن الأوّل للحضارة، وأنّ الثورة السورية ثورة حضاريّة بكلّ المقاييس وأنّ العالم كلّه أدار ظهره لها، كما شكر فرزات الشعب الفرنسيّ لمساندته الشعب السوريّ في مثل هذه المناسبة، وحيّا الشعب السوريّ المستمرّ في ثورته حتى ينال حرّيّته ويبني المجتمع الديمقراطي في سوريا الجديدة.

أمّا الفنان سميح شقير فقد نبّه من خطر التعاطف

الإنسانيّ مع الثورة السوريّة لمجرد «التعاطف» وإغفال حقيقة قيامها دفاعاً عن حقوق شعب سلبتْ حقوقه عشرات السنين. ورفض أن يصوّر الوضع على أنّه فقط «أزمة إنسانيّة» وكأنّه إحدى الكوارث الطبيعيّة التي حلّت بالسوريّين، وأنّ ما قدّموه من تضحيات هو نتيجة «عنف متبادل بين قوتين متصارعتين»، بينما هو ثورة شعبيّة وإرادة للتغيّير، وأنّ الشعب السوري يستحقّ أن يلتفت إليه العالم ليعرف السبب والغاية من وراء تضحياته.

وأكّد المصوّر الفوتوغرافيّ السوريّ عمّار عبدر ربه، صعوبة العمل في ظلّ الوضع الحاليّ، وعن الأخطار التي تمنع المصوّر من التنقل بحرّيّة، فهو لم يتمكّن من القيام بمهمّته الصحفيّة، ولم يتمكّن من تصوير ما يجري على الساحة، وأنّ الحرب مؤسفة، ولكنّه يعتقد أنّ الذي حصل كان لابدّ أن يحصل.

باريس/ كلّنا سوريّون

ستّة جرحى وتخريب سيّارات في كيليس

وقعت مشاجرة بين أتراك وسوريّين في ولاية كيليس، جرح على إثرها ستّة أشخاص وخُرّبت عدّة من سيّارات

فقد ذكرت وكالة أخبار العالم التركيّة أنّ: مشادّة كلاميّة بين مجموعة من سكّان حيّ "أكرم تشيتين" في مدينة كيليس التركيّة مع بعض النازحين السوريّين القاطنين هناك، وما لبثت المشادّة أن تحوّلت لشجار جرح على إثره بضعة أشخاص وتمّ إسعافهم إلى مشفى كيليس الحكوميّ حيث تلقّوا المساعدة الطبّيّة وعادوا إلى بيوتهم.

وبعد ذلك تمّ تخريب عدد كبير من السيّارات في الحيّ المذكور؛ ممّا استدعى تدخّل الشرطة بإحضار عربة فضّ النزاعات الاجتماعيّة إلى الحيّ الذي شهد الشجار، بغية منع اتساع رقعة الأحداث وتضخّمها.

منتخبنا إلى بطولة قبرص الدوليّة

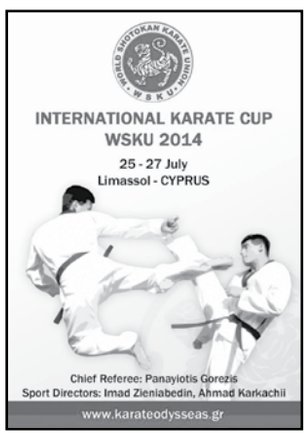

أعـلـن السـوري للكا ر ا تيه البـعـثـة للمشا ر كة قـبـرص للكا ر ا تيه ستقام في بـيـن ٢٥-تـمّـوز الاتّـحـاد الـحـرّ عن تشكيل الـسـوريّـة في بطولة الـدولـيّـة والـتـي الـفـترة ما ٢٧ مـن الـقـادم.

وذكرت الهيئة العامّة للرياضة والشباب السوريّة أنّ القرار رقم (٤) والصادر بتاريخ ١٠-٦-٢٠١٤ عن اتحاد الكاراتيه الحرّ، ضمّ أسماء البعثة على النحو التالي: عماد زين العابدين\رئيساً، أحمد قرقشلي\إداريّـاً وحكماً، أحمد برنجي\مدرّباً، د. سليم أبو قويدر\طبيباً، عروة قنواتي وأسعد حنا\إعلاميَّين.

وكلّ من اللاعبِين: علي البارودي، نور شنن، منير إسماعيل، موسى الحمد، راجي راجي، محمّد شيخو.

يذكر أنّ منتخب سوريا الحرّ للكاراتيه شارك في ٤ بطولات عالميّة سابقة وتمكّن من تحقيق انجازات مهمّة على الصعيد الدوليّ لعل أبرزها تتويج علي البارودي بأوّل ذهبيّة لسوريا الحرة في بطولة أثينا عام ٢٠١٣، إضافة لتتويج البطلين مهنّد ومحمّد جميل العلي بأربع ذهبيّات وفضّيّة في بطولة العالم بكوسوفو في نيسان الفائت.

كأس العالم في البرازيل

بدأت في تمام الساعة الـــ٠٦:٢٠ مـساءً بتوقيت غرينيتش الخميس ١٢ حزيران مراسم نهائيّات كأس العالم في البرازيل علـى ملـعب أرينـا كورينثيانز في ساو باولو

شارك في تقديم حفل الافتتاح ١٢٠٠ شخص، واستمرّ ٢٥ دقيقة تضمّن رقصات محلّيّة متنوّعة، وانتهى بعرض غنائيّ قُدّمت من خلاله أغنية المونديال «وي آرون».

ولم يتضمّن حفل الافتتاح خطاباً لرئيسة البرازيل «ديلما روسيف» أو لرئيس الاتحاد الدوليّ لكرة القدم (فيفا) «جوزيف بلاتر» تجنّباً لصافرات استهجان محتملة.

ويستضيف اثنا عشر ملعباً مباريات كأس العالم، منها:

ستاد ماراكانا الشهير في ريـودي جانيرو الذي سيستضيف المبارة النهائيّة تحت أنظار ستة وسبعين ألف متفرج.

وستاد كورينثيانز في ساوباولا الذي يتّسع لخمسة وستين ألف متفرّج، وقد استضاف المباراة الافتتاحيّة بين البرازيل وكرواتيا التي انتهت بفوز البرازيل ١١٣

«داعش»!!.. هل هناك سايكس بيكو جديدة؟؟

«داعش».. الخيار الشمشونيّ للطغاة

لم يكن أشدّ المتفائلين وأكثر المندفعين من مجاهدي الأمريكي الذي «البغداديّ القرشيّ» ليتخيّل أنّ مقاتلي «الدولة الإسلاميّة في العراق والشام» سيكسرون حدود سايكس وبيكو، ويوحّدون أوصال الدولة المتقطّعة بحدود الطغاة المصطنعة التي تحرسها جيوش «النصيريّة والروافض».

كلّ هذا جاء كالخبر الصاعق والمفاجئ لرعايا الدولة المفترَضين، إنْ في عراق «المالكي» أو في سورية «الأسد»، (الذي جدّد شعبُه المحبّ لقائده منذ أيّام قلائل عهد المحبّة والولاء!).

بين ليلة وضحاها

السقوط الدراماتيكيّ والمسرحيّة الهزليّة التي عاشتها العراق مؤخّراً، بالسقوط المدويّ والمذهل بسرعته وحيثياته الإستراتيجيّة والعسكريّة، لثاني أكبر المدن العراقيّة «الموصل» بيد مقاتلي الدولة الميمونة المرهوبة الجانب «داعش»، وهو الاسم المحبّب لدى السوريّين سواء أكان اختصاراً أو تهكّماً، كما أراد له السوريّ الذي أسماها وتلقّف العالم كلّه هذه التسمية من بعده، بالعودة إلى المسرحيّة الغريبة الأطوار والتي بدأت فصولها بسيطرة بضع مئات من مقاتلي «داعش» على محافظة بكاملها تحرسها ألوية وفرق عسكريّة قوامها ستّون ألف مقاتل مدرّب ومجهّز بأحدث الأسلحة التي تلّقاها العراق لصدّ الإرهاب ولجم جماح التطرّف والقضاء على منبته واستئصال جذوره من بيئته الخصبة التي تشكّل فيها.

جنود يتركون أسلحتهم ويتخفّون بالزيّ المدنيّ، ويهربون مع سكّان المدينة، الذين فرّوا بدورهم إلى الإقليم الآمن «كردستان» العراق، تاركين المدينة لثلّة من المقاتلين ذوي الزيّ الأفغانيّ والرايات السود، وضبّاط بنجوم كثيرة لاذوا بالفرار بمروحيّاتهم بعيداً عن الموت الأسود القادم من وراء الحدود. كلُّ هذا يحدث بين ليلة وضحاها وبأوامر من صنّاع القرار الكبار وولاة الأمور في بغداد العاصمة، كما أكّدته العديد من التقارير وشهادات الأهالي الناجين بأرواحهم من لعبة تبادل الأدوار والسيطرات في بلاد الرافدين.

بالطبع، يذّكرنا هذا المنظر الغريب في رمزيته بسقوط بغداد في العام ٢٠٠٣، بكلّ سهولة وبساطة أمام الجيش

الأمريكي الذي لم يجد أحداً ليطلق في وجهه أيّة رصاصة أثناء دخوله لحاضرة خلفاء بني العبّاس، بينما كان وزير الإعلام العراقيّ يتوعّد جحافل «العلوج» بالموت على أسوار بغداد، وإذ يتكرّر المشهد بسكوت قناة «العراقيّة» الرسميّة، أو تجاهلها لمجريات الأحداث الملتهبّة في «الموصل» لتعرض لمشاهديها برنامجاً عن فنون الطبخ، وربّما فاتها أنّ مقاتلي «داعش» يتناولون الطبق الأشهر في مدينة «الموصل» وهو «الكبّة المصلّاويّة» التي تشتهر المدينة بها، وبحوزتهم الغنائم التي أفاء الله عليهم بها من دبّابات وأسلحة ثقيلة ومروحيات متطورة ستجعل من مقاتلي دولة الخلافة المنشودة وحوشاً مجهّزة بأحدث الأسلحة للتمدّد في طول البلاد وعرضها لتقيم دولتها التي تحكّم شرع الله وتنفّذ أمره، كما أردف المتحدّث الرسميّ ل»داعش» (العدناني)، الذي كان أوّل المعلّقين الرسميّين من دولة البغداديّ على تلك الفتوحات العظيمة والهبات الربّانيّة، التي منّ الله بها على «مجاهدي» الدولة والذي طالب المجاهدين بالزحف على بغداد الرشيد وبغداد الخلافة، كما أسماها ووجّه رسالة إلى المالكيّ الذي سمّاه «أُحميق الروافض» وتوعّده بتصفية الحساب، ولكنّ تصفيه الحساب ستكون في كربلاء والنجف.

النفير العامّ

في المقلب الأخر يتعقّد المشهد ليظهر الشيخ «علي الحاتم» شيخ عشيرة «الدليم» أحد أكبر شيوخ الأنبار ليقول هو الآخر: «ونذكّر الجميع بأنّ ثورتنا قامت منذ اليوم الأوّل على استرداد الحقوق لا الانتقام، وهناك من يحاول خرق هذه الثورة والإثبات للعالم بأنّها جاءت بأجندة داعش»، فكلامه ينفي سيطرة «داعش» على المدن التي خرجت عن سيطرة الجيش ويؤكّد محاربة «الثوّار» إيّاها هي، وكلّ الميليشيات الحكوميّة التي تعيث بدماء العراقيّين، ومتّهماً حكومة المالكيّ بأنّها هي من جاءت في التصدّي للمجموعات الإرهابيّة في العراق، وتؤكّد بالإرهاب لخدمة أغراضها وأهدافها.

كما تداولت بعض المواقع صوراً رفّعت لنائب الرئيس العراقيّ السابق «عزّت الدوري» ممّا يؤكّد تعقيد المشهد وعدم وضوح الجهات الفعليّة المسيطرة على المدن الستّ التي خرجت رسميّاً عن سيطرة الحكومة العراقيّة، والكلّ يؤكّد وينسب لنفسه هذا النصر المؤزّر سواء أكانت «داعش» و»مجاهديها» من مختلف أصقاع الأرض، أو مسلّحي العشائر الذين يؤكّدن بدورهم سيطرة «الثوّار» عليها رافضين كلّ المحاولات والادّعاءات التي تؤكّد سيطرة «الإرهابيّين» على محافظة الموصل وباقي المدن العراقيّة.

إذاً فالمشهد العراقيّ مليء بالتناقضات والرؤية المشوّشة، التي لم تتّضح بعد، والساحة كما تبدو تَزخر بكلّ العناصر المختلفة (مجاهدين وثوّار عشائر وعناصر بعثيّة سابقة).

في الخلف تبدو طهران ومن أمامها المالكيّ، غير آبهين بالتقدّم السريع والساحق لعناصر «داعش» التي قضمت بحسب زعمهم نصف العراق ولم ترمش للمالكيّ جفن وهو يعلن حالة «النفير العام» ويستلهمُ التجربة السوريّة من جاره الأسد حين يعلن تشكيل جيش تطوّعيّ للحرب على الإرهاب، بعد أن فشل جيشه المدجّج بأحدث الأسلحة والعتاد والمدّرب بأحدث «التكيتيكات» الخاصّة بمواجهة الإرهاب والتعامل مع العناصر المتطرّفة.

الشقيقان!!

ولم يكن تعليق النظام السوري متأخّراً ففي بيان نقلته الوكالة الرسميّة للأنباء «سانا» عن بيان صادر عن الخارجيّة السوريّة قالت فيه: «إنّ سوريا تُدين هذه الأعمال الإرهابيّة وتعبّر عن دعمها وتضامنها ومساندتها للحكومة والجيش والشعب العراقيّ الشقيق

أنّ ما يواجهه العراق الشقيق هو ذاته ما تواجهه سوريا من إرهاب مدعوم من الخارج». كيف لا والنظام السوريّ الممانع منذ اليوم الأوّل لانطلاقة الثورة وهو يتّهمُ أفراد الشعب السوريّ بأنهّم إرهابيّون يريدون اقتلاع آخر قلاع العروبة وأنّ هذه المظاهرات ما هي إلاّ جموع «إرهابيّين سلفيّين تكفيريّين» يحاولون إسقاط النظام العلمانيّ المقاوم، وعندما لم تجد تلك الادّعاءات آذاناً صاغية لدى العالم، قرّر ممارسة هوايته المفضلّة بصناعة العدو الإرهابيّ لمحاربته وإثبات هذه التهمة التي طالما وصف به معارضيه، فتشكّلت وأُعلن قيام «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، إنْ بمساعدته وتدبيره كما يؤكّد البعض، أو بالتغاضي عنها وجعلها تتمدّد على الأراضي التي خرجت عن سيطرته والتي تخضع لسلطة كتائب الجيش الحرّ والفصائل الإسلامية الأخرى، وبالتالي نشأت شراكة وتلاقي مصالح موضوعيّين كما يصفها القسم الآخر من المحلّلين والمتابعين للشأن السوريّ.

ويبدو أنّ المالكيّ، الغارق بالمشاكل المختلفة، أراد تطبيق هذه النموذج السوريّ الخلّاق وقرّر خوض اللعبة مهما كانت أكلافها، علّها تؤمّن له السيطرة المطلقة على العراق بوصفه الحاكم والمخلّص الأوحد من الإرهاب وشروره، وليصبح هو الآخر كـ «الأسد» ضروريّاً لاستمرار الدولة وضامناً لوحدة أراضيها وترابها.

الخيار «الشمشونيّ» أو بالأحرى «الخيار الانتحاريّ» هو الخيار الأمثل لكلّ الطغاة الراغبين بالبقاء على كراسي السلطة، حتّى لو أدخلوا كلّ إرهابيّي الأرض إلى دولهم، وأسقطوا عنها مبدأ السيادة الوطنيّة التي طالما تغنّوا بها، فهم لا يتورّعون عن فعل شيء يؤمّن استمرار حكمهم أو بقائهم في سدّة السلطة بشتّى الطرق والوسائل المتاحة، فإن فشلوا فليدمّروا بلدانهم كما فعل «شمشون» البطل الشعبيّ الوارد ذكره في قصص بني إسرائيل والذي هدّم أعمدة المعبد فوق رؤوس الذين تجّمعوا فيه من أفراد الشعب قائلاً: «لتمت نفسي مع الفلسطينيّين»، فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته.

مصطفى الجرادي

من العراق إلى سوريا... انبثاقات جديدة للقاعدة

آن جيران ودان لاموث

ذا واشنطن بوست ١٠حزيران ٢٠١٤

The Washington Post

يُوضح الاستيلاء على مدينة «الموصل» العراقيّة يوم الثلاثاء الكثير من المخاوف الأمريكيّة، والقلق المتزايد حيال ما يجري، وما يمكن أن ينجم عنه من مخاطر تهدّد وبشكل مباشر مصالح الأمن القوميّ الأمريكيّ، جرّاء توسّع طموحات المجموعات الراديكاليّة في القاعدة من العراق إلى سوريا، ومن ثمّ إلى أبعد من ذلك.

لقد باتت المجموعات المنشقّة عن القاعدة بشكلها التقليديّ أكثر خطراً الآن، كما أنّها أصبحت واحدة من أكثر المشاكل التي يصعب حلّها أو احتوائها، إنّ سيطرة الدولة الإسلاميّة في العراق والشام «داعش»على مدينة الموصل العراقيّة تعتبر مؤشّراً قويّاً على ازدياد قوّة المتطرّفين حسب الخبراء الأمريكيّين.

لقد سيطر مقاتلو الدولة الإسلاميّة على الضفّة الغربيّة لنهر «دجلة» بين عشيّة وضحاها، ولم ينفع التدريب الذي قدّمته الولايات المتّحدة للجنود العراقيّين وضبّاط الشرطة، الذين تخلّوا عن أماكن عملهم دون الدفاع عنها، فاستولى مقاتلو الدولة الإسلاميّة على مقرّ الحكومة وسجنين ومحطّة تلفزيون والعديد من مراكز الشرطة، بالإضافة إلى المصرف المركزيّ والمطار والقاعدة العسكريّة الرئيسيّة التي كانت تُستخدم كمركز للعمليّات الأمريكيّة في شمال العراق. علاوة على كلّ ذلك، أخذ المقاتلون كميّات كبيرة من الأسلحة التي كانت موجودة بحوزة قوّات الأمن لدى سيطرة قوّات الدولة الإسلاميّة على تلك المواقع الأمنيّة، بما في ذلك المركبات والأسلحة والذخائر، وأغلبها مقدّمة أصلاً من الولايات المتّحدة إلى الأمن والشرطة العراقيّين. ونتيجة لهذا الاجتياح المفاجئ فقد فرّ آلاف المدنيّين العراقيّين من مدينتهم «الموصل»

واصلت إدارة «أوباما» يوم الثلاثاء تعهدها بتقديم الدعم لحكومة «المالكيّ» رئيس الوزراء العراقيّ الذي أعلن»النفير العام» لأجل أمن البلاد، كما طلب

من البرلمان إعلان حالة الطوارئ وتبقى النتيجة تصاعد المخاوف العراقيّة من ازدياد قوّة الإسلاميّين الراديكاليّين رغم كلّ الدعم الذي تقدّمه الولايات المتّحدة من أسلحة متطوّرة ومشورة وتدريب.

«عندما تمتد حركة ما بهذه القوّة، يصبح من الصعب وقفها» هذا ما قاله قائد عسكريّ رفيع المستوى من قادة الجيش الأمريكيّ الذين شاركوا بغزو العراق، وأضاف القائد الذي تحدّث عن الحالة بطريقة نقديّة قائلاً: «ستحقّق داعش المزيد من المكاسب وستندفع جنوباً تجاه العاصمة العراقيّة». وفي الحقيقة وردت عدّة تقارير يوم الثلاثاء تؤكّد أنّ المقاتلين الإسلاميّين استطاعوا محاصرة «تكريت» ما يعني أنّهم باتوا أقرب إلى بغداد.

صدرت العديد من التحذيرات عن المسؤولين الأمريكيّين العاملين في المنطقة حول خطر «داعش» قبل تمكّنها من السيطرة على «الموصل». وقال المسؤولون هناك الكثير من الدلائل على أنّها تعتبر الموصل هدفها على وجه الخصوص وستحاول الوصول إليها.

وقال مسؤول أمريكيّ مختصّ بمكافحة الإرهاب: «إنّ مقاتلي الدولة الإسلاميّة ينظرون إلى سوريا والعراق على أنّهما ساحة للصراع، وقد مكّنتهم قدرتهم على استجرار الموارد والأفراد عبر الحدود من تثبيت موقفهم وتعزيزه في ساحتي القتال المذكورتين».

بدأ نفوذ «داعش» من خلال سطوتها داخل الطائفة السنّيّة في العراق وسوريا، لكن وبسبب قوتها المتنامية في كل من البلدين فإنّ إدارة «أوباما» لفتت النظر إلى أنّ خطرها يزداد لتصبح مشكلة إقليمية تهدد المصالح العالميّة وتخترق الحدود.

وقال «مايكل فيكرز»، وكيل وزارة الدفاع للاستخبارات، خلال ظهور له في مركز الدراسات الاستراتيجيّة والدوليّة هذا الشهر: «إنّ الدولة الإسلاميّة في العراق والشام هي تنظيم سنّيّ انبثق عن فلول تنظيم القاعدة في العراق، وبدلاً من أن يتمّ القضاء على القاعدة يبدو أنّها استطاعت أن تنصهر وتخلق من نفسها جسماً جديداً»، ثمّ أضاف: «معظم قادة القاعدة ذهبوا للعمل في سوريا بعد تدهور أوضاعهم في العراق، وهؤلاء لديهم طموحات تشكّل تهديداً واسع النطاق في المنطقة والعالم أجمع»، كما أنّه ذهب إلى حدّ وصف التنظيم بأنّه «جماعة إرهابيّة خبيثة جدّاً دأبنا باستمرار على التركيز عليها».

«بريت ماك جورك»،مساعد وزير الخارجيّة والمستشار الأمريكيّ في العراق، كان هناك عندما سقطت الموصل ثاني أكبر مدينة في البلاد. وكان قد ذهب لإجراء محادثات عاجلة حول تدهور الظروف الأمنيّة في شمال وغرب العراق، والضغط على حكومة «المالكي» التي تمارس التهجير والتهميش بحقّ السنّة.

أعلن العراق عن خطته لشراء ١٨طائرة F-١٦ بعد أشهر فقط من إعلان الولايات المتّحدة إكمال سحب قوّاتها من أراضيه في العام ٢٠١١، ولكنّ الحقيقة أنّ العراق تسلّم رسميّاً أوّل طائرة هذا الأسبوع، لذا لا يمكن أن نتصوّر أنّها وصلت إلى هناك ليتمّ إسقاطها، على الرغم من أنّ وقتاً ليس بقصير سيمرّ قبل تمكّن الطيارين العراقيّين من قيادة الطائرات، بسبب قلّة عدد الطيارين المدرّبين، وأكثرهم لا زالوا في مرحلة التدريب.

وتتوقّع الحكومة العراقيّة أيضاً أن تتلقّى ١٢ طيارة مروحيّة من نوع «أباتشي» بصفقة قيمتها ٦ مليار دولار، كان «روبرت مينينديز» رئيس لجنة العلاقات الخارجيّة في مجلس الشيوخ، قد علّق تنفيذها منذ عدّة أشهر بسبب مخاوفه من قيام الحكومة العراقيّة باستهداف الأقلّيّات أو خصومها السياسيّين بتلك الطائرات، إلّا أنّه من المتوقّع وصول تلك المروحيّات إلى العراق الصيف الحاليّ.

صفقات الأسلحة تأتي في سياق التساؤل، إذا كان من الحكمة الاستمرار في تجهيز الجيش العراقيّ، الذي فرّ ضبّاطه من مواقع خدمتهم ليظهر المقاتلون من الدولة الإسلامية وهم يستقلّون عربات «هامفي» ويعبرون بها الحدود إلى سوريا. وتأتي هذه الصفقات أيضاً بعد تقارير تؤكّد قيام القوّات العراقيّة بإلقاء البراميل المتفجّرة من الطائرات العموديّة وغيرها، ما يعني قيامهم بنفس الأمر الذي وجّه «أوباما» نقداً لاذعاً لبشّار الأسد بسبب ارتكابه، وقد استُخدمت البراميل في العراق في المناطق المعارضة للحكومة، وتقول التقارير إنّ عمليّات إلقائها تفتقر إلى الدقّة، ممّا تسبب بمقتل العديد من المدنيّين لا سيّما في «الفلّوجة».

ترجمة مها الخضّور

في ريف إدلب تغيب الكهرباء وتَهدُر المولّدات

كلنا بعد أن دمّر النظام البنية التحتيّة للكهرباء بشكلٍ شبه كامل في المناطق التي خرجت عن سيطرته، انتشرت ظاهرة مولّدات الكهرباء كحلٍ بديل.

دفع انقطاع التيار الكهربائيّ عن مدن وقرى محافظة إدلب بشكل مستمرّ سكّان تلك المناطق إلى ابتكار طرق وأساليب أخرى للحصول على الكهرباء. فبعد فقدان الأمل بعودة التيار الكهربائيّ الذي تنتجه محطّات في مناطق خاضعة لسلطة النظام، أقدم بعض الأهالي على شراء مولّدات ضخمة لتغذية المحلّات التجاريّة والأحياء السكنيّة بالكهرباء مقابل أقساط شهريّة.

هكذا مشاريع كانت عمل بعض الأثرياء في خمسينيّات القرن الماضي، والتي تدر عليهم الأموال دون عناء، والكهرباء آنذاك دليل رفاهية الشخص الذي يستطيع إنارة بيته بمصباحٍ كهربائيٍ بدلاً من أدوات الإنارة البدائيّة مثل سراج الزيت.

لكن... وبعد مرور أكثر من ٦٠ عاماً على هذه المشاريع، أعاد النظام السوريّ بإجرامه سورية إلى تلك الحقبة من الزمن، وعادت أيّام رفاهية الكهرباء عبر مولّدات الكهرباء الضخمة التي تعمل على محرّكات الديزل.

سلبيّات وإيجابيّات

انتشرت ظاهرة مولّدات الكهرباء كحلٍ بديلٍ للكهرباء العامّة، التي دُمّرت بنيتها التحتيّة بشكلٍ شبه كامل، بسبب القصف المستمرّ من قبل قوّات النظام التي تعمل على معاقبة المدن الخارجة عن سيطرته من خلال إنهاء الخدمات الأساسيّة على أمل الدخول في مصالحات تُعيد سيطرته بعد الفشل في الحلّ العسكريّ. ومع أنّ ابتكار هذه الحلول أوجد حالة من المقاومة لعقوبات النظام، غير أنّ لمثل هذه الحلول سلبيّاتٍ، كما لها من إيجابيات؛ من سلبيّاتها أنّ المشاريع تعتمد الشكل البدائيّ في استثمار الكهرباء، أمّا الإيجابيّة البارزة فهي العودة للحياة الطبيعيّة إلى حدٍ كبيرٍ من خلال عودة الحركة التجاريّة والصناعيّة الخفيفة إلى العمل، خاصّة وأنّ الكهرباء تشكل العصب الرئيسّي لهذه المهن، ممّا يؤدّي إلى انتعاش الحياة في المدينة أو البلدة.

إنّ أيّ مشروع يعمل على الاكتفاء الجزئيّ دون دراسة عميقة للمشروع، يظهر الكثير من الإشكاليّات، التي ربّما يتغاضى عنها السكّان المحلّيّون بالمقارنة مع ما يحصلون عليه من بنيةٍ تحتيةٍ أساسيةٍ، حتّى وإن كانت على عجل؛ فهنالك الضجيج الذي تحدثه هذه المولّدات، خاصّة وأنّها ضمن الأحياء السكنيّة.

يقول «محمّد» من مدينة «سرمدا»: «الضجيج الهائل الذي تحدثه هذه المولّدات الكثيرة، تجعل الحيّ في حال من الإنزعاج الدائم، فهي تعمل على الأقلّ ١٢ ساعة يومياً، ولكنّ ما يخفّف من هذه السلبيّة وجود الإنارة مثلاً، والتخلّص من الظلام القسريّ بسبب انقطاع التيار الكهربائيّ منذ سنتين تقريباً».

بين نار الأسعار وجحيم الظلام

«أبو عبد الله» من مدينة «سلقين» يقول: لم تصلنا الكهرباء منذ سنتين تقريباً،أي منذ أن أصبحت «سلقين» خارج سيطرة النظام، لذلك لم يكن أمامنا سوى أن نشترك بالمولّدات الخاصّة التي تعمل من الساعة ٦ إلى الساعة ١٢ ليلاً، نرى الكهرباء خلالها فقط». ولعلّ الفقر الشديد الذي طغى على حياة السواد الأعظم من السوريّين يجعلهم بين نار أسعار «الأمبير»(شدّة التيّار الكهربائيّ) وجحيم الظلام، فيذهبون إلى الأقلّ سوءاً.

«أمّ سامر» من «معرّة مصرين» تحكي عن تجربتها: «وضع الكهرباء سيئ جدّاً، لا نراها أبداً، وأنا ليس لديّ مكان آخر أذهب إليه، اشتركت لمنزلي بواحد «أمبير» فقط من أجل الإنارة».

ولكنّ المشكلة لم تتوقّف عند الاستهلاك المنزليّ وارتفاع أسعار الأمبير التي يشترك بها السكّان، بل تعدّت إلى مشكلة الورشات الصناعيّة التي تلزمها كميّة أكبر من الكهرباء، وبالتالي تحتاج إلى عدد أكبر من «الأمبيرات»، ممّا يشكل عبئاً إضافيّاً على تكلفة المواد المصنَّعة فتزيد أسعارها، وبالتالي يزيد العبء على المواطن الذي يعاني من سوء حالته الماديّة أصلاً.

يقول السيّد «أحمد» صاحب ورشة خياطة في «سلقين»: «كلّ يوم أحتاج لـ ٣٠ أمبير لتشغيل الآلات (٣٠×٧٥ = ٢٢٥٠ ليرة سوريّة)، علماً أنّ المولّدة تعمل ٨ ساعات يوميّاً، وهذا ما يزيد في التكلفة أكثر، لذلك أضطرّ إلى رفع أسعار البضاعة».

الرمد أحسن من العمى!

إنّ الحديث عن غلاء سعر «الآمبير» بالنسبة للمواطن المسحوق مبرّر تماماً، بسبب الفقر المدقع الذي دخل في متاهاته هذا المواطن، ولعلّ مبرّرات أصحاب المولّدات- أيضاً- التي توزّع الكهرباء مقنعة إلى حدٍ ما؛ أحد أصحاب المولّدات الكهربائية في «سرمدا» يقول لنا عن سبب ارتفاع أسعار «الآمبير»:

«من الطبيعيّ أن تكون أسعار الآمبير مرتفعة بسبب ارتفاع أسعار الوقود «المازوت»، التي تشغّل المحرّكات الخاصّة بالمولّدات، بالإضافة إلى ارتفاع سعر مجموعة المولّدة، وهو ما يعتبر رأس مال يريد صاحبه الاستثمار به لتأمين معيشته مثل أيّ عمل آخر، وكذلك ارتفاع أسعار الصيانة من قطع تبديل أو أجور، وبحساب بسيط تجد أنّ ما نكسبه يؤّمن المعيشة بالحدّ الأدنى».

ومع هذا الارتفاع في أسعار «الآمبير» يرى «حسّان» من مدينة «سلقين»: «أنّ الرمد أحسن من العمى، فبوجود المولّدات أصبحنا نرى الكهرباء قليلاً، وأصبحنا نوفّر الشموع والكاز للإنارة. في الشتاء أشتركتُ بـ ٢ أمبير أمّا في الصيف فسيلزمني ٣ أمبير لتشغيل البرّاد وإضاءة المنزل».

رغم وجود هذه المولّدات كحلٍّ بديل، إلّا أنّ الكثير ممّن ليس بمقدورهم دفع بدل الاشتراك ينتظرون عودة التيار الكهربائيّ مع غروب شمس كلّ يوم.

عصام عبد الحميد

«مارع» شعلة الثورة في الريف الحلبيّ

«مارع» مدينة السهل والخضرة، مدينة «عبد القادر الصالح»، مدينة قابعة في الريف الشماليّ لحلب، تبعد عنها حوالي /٣٥ كم/ كما أنّها تبعد عن الحدود التركيّة /٣٠ كم/ تقريباً، يبلغ عدد سكّانها نحو ٤٥ ألف نسمة، وتمتد على مساحة ٢٠ ألف هكتار، تشتهر بأراضيها الخصبة ذات التربة السوداء الشهيرة بزراعة البطاطا، كما أنّها تشتهر بزراعة الحبوب بكافّة أنواعها.

من الألف الثالثة ق.م.

واسم «مارع» جاء من كلمة السهل الممرِع، بمعنى السهل الذي تكثر فيه المراعي، كما وتعني أيضاً «ماء ورعي». يرجع تاريخ هذه المدينة إلى عهد «الإسكندر المقدونيّ»، حيث تمّ العثور على لُقى أثريّة تؤكّد ذلك من تلك الحقبة، أي إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، إذ أنّ «الإسكندر» ترك حامية عسكريّة صغيرة في محلّة تدعى «السربس»، وهي تقع حالياً إلى الشرق من «مارع»، ولا تزال قطع حجريّة بازلتيّة كبيرة مبعثرة منحوتة، كبقايا لسور عسكريّ قديم، ويقال إنّه كانت هناك جالية يونانيّة تقيم في هذه المدينة، والدليل على ذلك كثرة السراديب الموجودة إلى يومنا هذا، والتي يُعتقد أنّها تضمّ العديد من الكنوز، أمّا في عهد الفتوحات الإسلاميّة فقد تمّ تحرير «مارع» من اليونانيّين الذين دخل بعضهم الإسلام، أمّا في العهد العثمانيّ، تمّ تحويل هذه المدينة إلى «قائمقاميّة» ومركز قيد نفوس لسكّان «مارع» وما حولها من القرى، وبعد خروج العثمانيّين احتلّ الفرنسيّون سوريا وقامت ضدّهم حركات مقاومة، امتدّت على كامل التراب السوريّ ومنه «مارع» بالتأكيد، وحسب التوصيف الإداريّ لما قبل الثورة السوريّة كانت «مارع» تصنّف كناحية.

أوّل المدن الثائرة في الشمال

وللحديث عن عن بدايات الحراك الثوريّ في مارع، جريدة «كلنا سوريون» التقت الناشط الإعلاميّ «محمّد الشهيد» الذي حدّثنا عن مراحل الثورة في مدينته قائلاً: «في الوقت الذي كانت «مصر» تنتفض ضدّ نظام «مبارك» تهامس السوريّون فيما بينهم: هل يمكن أن تقوم ثورة في سوريا؟ من سيقوم بهذه الثورة؟ ما هي العواقب؟... هذه الأسئلة وغيرها شغلت بال الشباب السوريّ ومن ضمنه الشباب في مدينة مارع».

ويتابع قائلاً: «في صبيحة أحد الأيّام شاع خبر عن وجود كتابة على جدران المدرسة الريفيّة في «مارع»، تدعو لإسقاط النظام ونعت (الرئيس) بصفات الفساد، وقد جرى تحقيق بهذا الخصوص من قبل عناصر الأمن، ثمّ قُيّدت القضيّة ضدّ مجهول، وبقي الهدوء الحذر مسيطراً على المدينة إلى ما بعد قيام المظاهرات الأولى في كلّ من دمشق ودرعا وحمص».

يقول الناشط «محمّد الشهيد»: «انفجرت أوّل مظاهرة في «مارع» بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٢ وأذكر حينها تدخّل الأمن والشبّيحة لفضّ هذه المظاهرة ومصادرة عدد من الهواتف المحمولة وكاميرات تصوير واعتقال بعض المتظاهرين والتحقيق معهم، ثمّ توالت المظاهرات إلى الحدّ الذي لم تستطع شرطة الناحية أن تفرض الأمن، فقام النظام بإرسال كتائب حفظ النظام ومفارز أمنيّة للسيطرة على الوضع، ممّا أدى لاندلاع اشتباكات بين المتظاهرين وقوات الأمن، الأمر الذي دفع قوّات النظام لاقتحام المنازل ليلاً واعتقال النشطاء».

يتابع «الشهيد» قائلاً: «سقط أوّل شهداء الثورة في «مارع» خلال مظاهرة جماعيّة للريف الشماليّ في بلدة «حيان» بعد أن أطلق عليه أحد الشبّيحة النار، وكان اسمه، تقبّله الله: /رمزي الدادا/.. توالت المظاهرات بعدها وتعاظمت حتّى وصل عدد المتظاهرين في «مارع» إلى حوالي ١٥٠٠٠ متظاهراً، ممّا جعل النظام يفقد عقله ويبدأ بعملية اقتحام للمدينة وللريف الشماليّ في حلب، وقد نالت «مارع» نصيبها من بطش قوّات الأسد، حيث تمّ حرق أكثر من ٥٠٠ منزل وحوالي ١٥٠ محلّ تجاريّ، ناهيك عن الأضرار الماديّة الأخرى والسرقات من المنازل والمحالّ التجاريّة التي قام بها جنود وشبّيحة الأسد.

بعد هذا العمل الإجراميّ بدأ أهل «مارع» التفكير الجدّيّ بالتسلّح للدفاع عن أنفسهم وأعراضهم وبيوتهم، وبدأ الثوّار بشراء أسلحة خفيفة مثل «البمبكشن»، كما تمّ تشكيل حواجز على مداخل المدينة، ثمّ تطورت الأسلحة ليصبح «الكلاشنكوف» هو السلاح الفعّال لدى الثوّار، وبه انتفضوا واستطاعوا طرد عناصر الشرطة من مخافر الريف الشماليّ بشكل شبه كامل، ثمّ قام الثوار بعدها بمهاجمة المفارز الأمنيّة في الريف الشماليّ، وكان آخرها هو مبنى مفرزة الأمن العسكريّ في أعزاز» .

وقال «الشهيد»: «بعد الانتصارات المتتالية في الريف الشماليّ لحلب، انتقل ثوّار «مارع» بقيادة «عبد القادر الصالح» لتطهير الريف الشرقيّ والغربيّ من قوّات العصابة الأسديّة، وكان لهم ذلك بعد اشتباكات عنيفة في «حريتان» و»الباب» وغيرها، شاركت فيها الأسلحة الثقيلة للنظام..

الضوء الأخضر والهمجيّة

وبعد تطهير معظم مناطق الريف من النظام، نظّم الثوّار أنفسهم في لواء عسكريّ أطلقوا عليه اسم (لواء التوحيد) وانطلقوا نحو مدينة حلب، فاستطاعوا بمساعدة الكتائب الأخرى للجيش الحرّ، أن يطردوا عصابات النظام من حوالي ٤٥٪ من حلب خلال أقلّ من أسبوع. ثمّ انتقلوا لمحاصرة القطعات العسكريّة والمطارات (مثل مدرسة المشاة ومطار منَّغ ومطار كويرس والمخابرات الجويّة...) التي سقط بعضها وبقي بعضها الآخر حتّى اليوم».

يتابع «الشهيد» محدّثاً: «بعد حصول النظام على الضوء الأخضر من المجتمع الدوليّ للقضاء على الثورة، بدأ باستخدام الطيران الحربيّ وصواريخ «السكود»، كان نصيب مدينة «مارع» من الدمار حوالي ١٠٠ منزل، ووصل عدد الشهداء إلى أكثر من ٤٠٠ شهيد في مدينة عدد سكّانها لا يتجاوز ٤٥٠٠٠ نسمة، أي أنّه لم يبقَ بيت إلّا وفيه شهيد أو جريح أو معتقل».

ونلاحظ في الآونة الأخيرة، أنّ النظام قد كثّف من حملته الهمجيّة، ففي كلّ يوم تَشهد المدينة عدّة غارات نهاريّة وليليّة بالصواريخ والبراميل والرشّاشات الثقيلة، ما أجبر أهلها على النزوح للمرّة الأولى منذ بداية الثورة.

ولا تزال الثورة السورية مستمرّة، ولا يزال الحلم بسوريا جديدة يسكن ضمير الجميع في مدينة «مارع» شعلة الثورة.

بدر حسين

«أنا مش كافر، بس البلد كافر»

كلنا الصناديق لن تُفتح، والأصوات لن تُفرز، لكنّه الخوف، مجدّداً

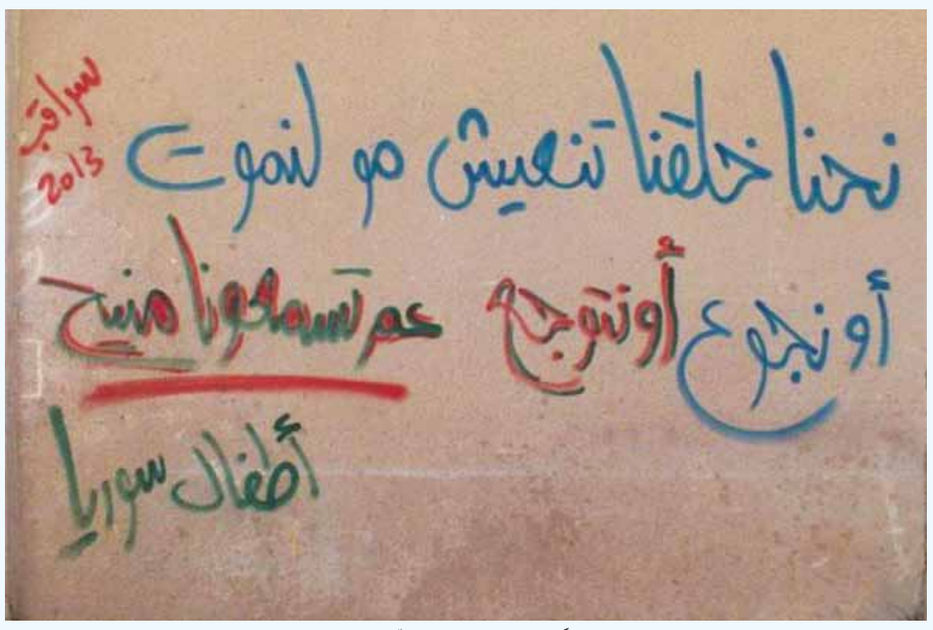

الثالث من حزيران لم يكن يوماً كسواه، رغم أنّه حمل عنواناً مشابهاً لسواه، الخوف والذلّ، ولكن بشكل مختلف هذه المرّة، فالذلّ مزدوج اليوم، والخوف مزدوج، بين تهديدات الجيش الحرّ والفصائل المسلّحة بقصف المناطق الخاضعة للنظام ونداءات «خليك بالبيت» من جهة، والخوف من النظام وانتقامه بحال لم يشاركوا في أكبر المسرحيّات الهزليّة التي أقامها حتّى اليوم، الانتخابات.

الخوف مجدّداً والخذلان

أوّل الضغوطات التي بدأ النظام بممارستها هي إجبار الموظّفين على الدوام وعدم السماح بأيّة إجازات، إضافة إلى تأجيل استلام رواتبهم لما بعد الانتخابات. وبما أنّ أغلبيّة من تبقّى من موظفي القطاع العامّ الحكوميّ، فقد فُرض الذلّ على كلّ من بقي هنا، حتّى من لم يكن موظّفاً فقد وجد نفسه مدفوعاً بالخوف للاشتراك بالمهزلة الانتخابيّة، رغم يقين الجميع أنّ النتائج موضوعة مسبقاً، وأنّ الصناديق لن تُفتح، والأصوات لن تُفرز، لكنّه الخوف، مجدّداً.

ابتدأ الصباح بانقطاع الطرقات ومنع السيارات من العبور في معظم الطرق الرئيسيّة، مع ارتفاع حدّة التفتيش عند الحواجز، ما سوى ذلك يوحي بأنّه يوم طبيعيّ، كلٌّ يذهب إلى مركز انتخابيّ أُقيم في مقرّ عمله، ليرمي بورقة في صندوق، كعمل روتينيّ ويتابع أشغاله، مع محاولة رسم ابتسامة فرح بالعرس الوطنيّ الديموقراطيّ، وكأنّه طقس يوميّ اعتاده منذ زمن.

أكثر ما كان محطّاً للانتقاد هو قيام معارضين، وثوّار من القسم «المحتلّ»، وحتّى معتقلين سابقين بالمشاركة والانتخاب، قد يكون الأمر غريباً ومستهجناً للكثيرين، خاصّة ممن لم يعِش في هذا الجزء من المدينة لما يزيد عن العام، فالكثير قد تغيّر، جدار الخوف الذي ترمّم من جديد، الذلّ، والأهمّ، الخذلان.

لمن وصمة العار؟

ففي جولة سريعة بين المعارضين والنشطاء السابقين الذين قاموا بالانتخاب لمعرفة مواقفهم يقول أحمد: «أنا موظّف في النهاية، خاطرت بمستقبلي كثيراً لكنّني اليوم عالقٌ هنا، لا أستطيع تحمّل تكاليف مغادرة البلد والحياة في تركيا مع عائلتي، ولا أستطيع تركهم والرحيل وحدي فنحن نعتمد تماماً على راتبي، لم تعد المخاطرة تستحقّ فالقضيّة أصبحت لعبة دوليّة منذ زمن»، هذا ما دفع بأحمد للمشاركة بالانتخابات واصفاً إيّاها بـ»الدعس» على كرامته.

أمّا رغداء فتقول «أنا عاطلة عن العمل ولا أملك خيار السفر، وأحاول تسوية أموري للحصول على وظيفة حكوميّة، كان لابدّ لي من الانتخاب، بكلّ حال من الأحوال لا صوت لنا، هي مجرّد لعبة، فلمَ لا أقوم بحماية نفسي وتسهيل أوضاعي؟ كان الأمر صعباً، لكنّ ضميري مرتاح، مقاطعة الانتخابات اليوم لا تشبه أبداً مقاطعتنا للاستفتاء الدستوريّ في ال٢٠١٢، تغيّر الكثير».

أمّا بالنسبة لمعتقلين سابقين، فتقول مها التي خرجت من المعتقل منذ فترة قصيرة «أنا طالبة جامعيّة ولا أريد السفر، ولا أستبعد كوني مراقبة إلى اليوم، لا أحتاج إلى من يزاود عليّ ويعطيني شهادة انتماء للثورة التي قدّمت لها كلّ ما استطعت، لكن لا أحد اليوم هنا معنا، الجميع تركنا وتخلّى عنّا»

أمّا مريم فقد «طمست» اصبعها بالحبر وأنزلت صورة اصبعها على صفحتها على الفيس بوك قائلة:

«هذه وصمة عار على جبين كلّ السياسيّين والمعارضة في الخارج وليست وصمة عار على جبيني»

يتشارك الجميع بالإحساس بالهجران والخذلان، فلو كانت المعارضة السياسيّة أقلّ طفوليّة لاستطاعوا فرض مرشّح منهم، أو على الأقلّ إجراء الانتخابات بإشراف دوليّ عوضاً عن هذه المسرحيّة التي سِيق إليها الجميع كالقطيع، لكنّهم مشغولون بمناصبهم ورواتبهم التي يكفي أحدها لإشباع عدّة عائلات هنا في الداخل.

بين إرهابَين

ثلاث سنوات ونيّف على بدء الثورة تغيّرت المعادلة بحدّة خلالها، وأصبح التطرّف سيّد المواقف، لعب النظام لعبته بمهارة، وانجرفت فيها المعارضة السياسيّة والثوّار إليها بمهارة أيضاً، فتقول هالة، وهي معارضة في أواخر العشرين من عمرها: «حتّى وإن جرت الإنتخابات بإشراف دوليّ ونزاهة، من هو بديل الأسد اليوم سوى الإرهاب الإسلاميّ، نحن مخيّرون بين إرهاب وإرهاب إسلاميّ، أنا أفضّل الإرهاب، فلست من محبّي التوابل والنكهات!».

مضى هذا اليوم بطيئاً، والجميع يشعر بطعم العلقم عالق في حلقه، فـ»الذلّ طعمه مرّ» ولكن انعدام الخيارات له سطوته، والخوف من انتقام النظام السوريّ له سطوته، والحاجة لها سطوتها، والجوع له سطوته، الجميع يتّهم من شارك بالانتخابات من المعارضين بخيانة الثورة، ولكن «أنا مش كافر، بس البلد كافر».

لينا الحكيم

الحواجز الأسديّة

كلنا لا يمكن أن أنسى حالة الترقّب والانتظار ونحن منطلقين نحو النجاة، فكنت انتظر اختراق الرصاص لأجسادنا بأيّة لحظة

قصص وروايات تحمل بين طيّاتها الكثير من الألم والحقد الممزوج بالعجز، عن مواجهة الذلّ الذي يتعرّض له المواطنون على أيدي ضبّاط وعناصر الحواجز المنتشرة في المناطق الخاضعة لقوّات النظام الأسديّ في مدينة درعا وريفها.

التابوت الحديديّ

أبو محمّد حمل السلاح على الرغم من بلوغه الخامسة والأربعين من العمر، ليس لغايات ماديّة ولا لأهداف إقليميّة، بل لمحاولة استرداد كرامته، التي أُهينت يوماً على أحد الحواجز المشرفة على مدينة درعا أثناء عودته إلى قريته في الريف. يحكي أبو محمّد قصّته قائلاً :»أثناء عودتي من وظيفتي في مدينة درعا بواسطة حافلة تقلّ أكثر من اثنا عشر راكباً من الرجال والنساء وعدداً قليل من الأطفال، مررنا بالحاجز الذي يشرف على حركة الدخول والخروج من وإلى المدنية، وعندما جاء دورنا بالتفتيش اقترب منّا أحد عناصر الحاجز طالباً من السائق البطاقات الشخصيّة لجميع الركاب، ومن ثمّ قام بأخذها إلى الضابط المسؤول عن الحاجز، الذي أمر بإشارة منه سائق الحافلة أن يتوقّف على يمين الشارع مفسحاً المجال لمرور الحافلات والسيارات التي خلفنا، لتنتشر بين الراكبين حالة من البلبلة والأسئلة لفهم ما يجري، في حين حاول سائق الحافلة سؤال أحد العناصر الأقرب إلينا عن سبب التوقّف ومتى سننطلق؟ جاء الردّ من الضابط المسؤول بضرورة التزام الصمت من قبل الجميع وإغلاق النوافذ وإلّا سيحدث أمر لا تحمد عقباه، في تلك اللحظة أدركنا بأنّ الأمور ستزداد سوءاً وأنّنا مقبلون على عمليّات تنكيل وتعذيب. والانتظار داخل التابوت الحديديّ وسط بكاء الأطفال ولهاث الكبار.

البول والنرجيلة

وأضاف أبو محمّد: «مضت ساعات عدّة ونحن ننتظر في الحافلة وكأنّها تابوت حديديّ، حيث أخذ الإعياء وقلّة الهواء يفرض نفسه بثقل على كبار السنّ والأطفال، الذين بدؤوا بالبكاء من الرعب والخوف والجوع ومنهم من بال على نفسه، لرفض العناصر العسكريّة السماح لنا باصطحاب الأطفال إلى مكان قريب لقضاء حاجتهم . ومع مرور الوقت أخذت حركة المرور تخفّ تدريجيّاً، حتّى توقّفت مع حلول بوادر الغروب الأولى، حيث بدأ الإحساس بالرعب يرتفع شيئاً فشيئاً، وتنتشر حالة من الهلع الشديد لدى الركّاب وخاصّة النساء والأطفال، ليتسرّب اليقين في نفوسنا، بأنّنا مقبلين على أمر سيء يُبيّت لنا من قبل الضابط الذي يراقبنا من على كرسيه، وإلى جانبه نرجيلته التي لم تنطفئ نارها منذ وصولنا إلى الحاجز ظهراً. إهانات واعتداءات على النساء والرجال دون مراعاة للأعراف والتقاليد والقيم الإنسانيّة وعندما حلّ الظلام حضر الضابط المسؤول وأمر بنزول جميع الركاب من الحافلة، باستثناء الأطفال والوقوف في صفّ واحد ووجوهنا نحو الحافلة، لتباشر عمليّات التفتيش التعسّفي وبطريقة فجّة وغير أخلاقيّة من قبل العناصر، حيث لم تسلم النساء من تلك الانتهاكات لتعلو أصواتهنّ بالبكاء والتذمّر مصحوبة ببعض الرجاء والشعور بالقهر والعار، مشيراً إلى أنّ أحد العناصر قام بضرب امرأة لأنّها رفضت السماح له بتفتيشها، في حين حاول أحد الركّاب الدفاع عنها، ليتلقّى ضربة على رأسه من أخمص البندقيّة أوقعته أرضاً، وليهجم عليه الضابط وبعض العناصر الذين قاموا بركله ورفسه بوحشيّة جعلته يتلوّى من الوجع والألم والدماء تغطّي وجه، أمّا نحن باقي الركاب فوقفنا عاجزين عن فعل أيّ شيء له أو للمرأة التي كانت ترجوهم بالتوقّف عن ضرب الشابّ.

كيس الطحين

ويكمل أبو محمّد حديثه قائلاً: «وبعد التفتيش المذلّ لنا صعد عدد من العناصر وفتّشوا الحافلة وأنزلوا جميع ما كانت تحتويه من مواد غذائيّة وبعض الأجهزة الكهربائيّة البسيطة والأدوية والتي تمّ الاستيلاء عليها، في حين استوقف الضابط كيساً من مادّة الطحين، كانت امرأة طاعنة في السنّ قد اشترته من المدينة، وعندما سأل الضابط لمن هذا الكيس؟ أجابت المرأة بأنّه لها فهي تقوم بتربية أطفال أيتام، ليعود الضابط إلى سؤالها عن كيفيّة قتل ذويهم؟؟ فردّت العجوز بصوت مخنوق» قُتل والدهم في حادث سير تعرّض له على دراجته الناريّة»، في تلك اللحظة علا صوت الضابط واتّهم ابنها بأنّه إرهابيّ قُتل أثناء هجومه مع عصابته التي ينتمي إليها، على حواجز للجيش السوريّ وأمرها بإفراغ الكيس ورمي الطحين على التراب، حيث استجابت السيّدة لأوامر الضابط وأفرغت الكيس بكامله بيديها العاريتين، ولم يتوقّف الضابط عند ذلك بل قام بنزع الحجاب عن رأس امرأة أخرى، وإلقائه على الأرض والدعس عليه بحذائه والبصاق عليه، وذلك بعدما عرف بأنّها تنتسب لأحدى العائلات، الملاحَقُ بعض أفرادها من قبل الأمن، لمشاركتهم في الثورة والتحاقهم بصفوف المقاتلين لنظام الأسد وجيشه. ويشير أبو محمّد إلى عمليّات الذلّ التي تعرّض لها مع بقية الرجال حيث أمرهم الضابط برفع اليدين ومن ثمّ الجلوس على الأرض والوقوف مرّة أخرى وبسرعة، إضافة إلى ترديد الهتافات التي تمجّد الرئيس والجيش السوريّ وحلفاءه قائلا: «عَلتْ الهتافات من حناجرنا ممزوجة بالقهر والكره لكلّ شيء، وبقينا على هذه الحال وقتاً طويلاً، ومن ثمّ أوقفنا الضابط معلناً بأنّ لحظاتنا الأخيرة في الحياة قد اقترب موعدها، حيث أخذ الجنود بتلقيم بنادقهم والهتاف بالموت لأعداء الوطن، وبالسؤال عن طريقة القتل التي يرغب بها الضابط، هل نطلق الرصاص على الرؤوس مباشرة أم أصابتهم في أماكن أخرى وتركهم ينزفون حتّى الموت؟؟

المصير

لا زلت أحاول فهم ذلك الحقد والوحشيّة التي تسكن في قلب الضابط وقلوب عناصره دون أن أجد تفسيراً إلّا بضرورة حمل السلاح والدفاع عمّا بقي لنا من كرامة أُهينت على تلك الحواجز، النجاة بعد انهيارنا وسرقتنا بشكل علنيّ وعن كيفيّة نجاة ركّاب الحافلة يقول أبو محمّد: «بعد الانتهاء من حفلة التعذيب، والتلويح بقتل جميع الركاب، أقترب أحد الأشخاص من الضابط، وكان يرتدي ملابس مدنيّة وطالبه بالسماح لنا بالذهاب، والاحتفاظ بكلّ ما صودر منا، من نقود وهواتف نقّالة وحتّى بعض المصاغ الذهبيّة التي انتُزعت من النساء، وبعد لحظات من قدوم الرجل أمرنا الضابط بالصعود بأقصى سرعة إلى الحافلة والانطلاق خلال لحظات قليلة، حيث سيقوم عناصره بإطلاق الرصاص على الحافلة دون رحمة، فتناسينا آلامنا وأوجاعنا مؤقّتاً وحملنا الشابّ الذي تعرّض للضرب، وصعدنا جميعاً إلى الحافلة والتي انطلقت بنا بسرعة وكأنّها مركبة فضائيّة، لا يمكن أن أنسى حالة الترقّب والانتظار ونحن منطلقين نحو النجاة، فكنت انتظر اختراق الرصاص لأجسادنا بأيّة لحظة، ولكنّنا ابتعدنا سالمين ووصلنا إلى منازلنا منهكين معذّبين مُهانين الكرامة والذلّ يركبنا حتّى اللحظة. استطاع راكبوا الحافلة النجاة بأعجوبة من مصير مجهول، لكن مصير كثير من الأشخاص الأقلّ حظّاً لا يزال مجهولاً، خلال مرورهم على حواجز النظام الأسديّ المنتشرة في مداخل مدينة درعا وبعض المدن والقرى التي ما تزال تحت سيطرة النظام.

سارة الحوراني

بين الـ «نحن» والـ «هم» جرائم الكراهية تسود سورية

مع استمرار الحرب في البلاد لأكثر من ثلاثة أعوام، وامتداد الاقتتال المستعر إلى أغلب المناطق والجبهات مع النظام أو فيما بين القوّات التي تحاربه، يبقى هنالك تساؤل ملحّ لا يغيب عن ذهن الناظر إلى خارطة الأزمة السوريّة، ألا وهو، هل ما يحدث الآن في سوريا من الاقتتال اليوميّ أو المتقطّع يرتقي إلى جرائم كراهية؟

«نحن» و «هُم»

تُعرّف جرائم الكراهية بأنّها: الجرائم التي تُرتكب ضدّ الأشخاص أو أموالِهم بسبب الانتماء إلى عرق أو دين أو لون أو جنس أو انتماء سياسيّ أو بدوافع مسبقة من الكراهية والعنصريّة. يرتبط هذا النوع من الجرائم بنتائج وخيمة حيث يكون التشفّي من الضحيّة بحرقها أو التمثيل بالجثّة، أو حتى طريقة القتل التي تنمّ عن مشاعر مستقرّة لفترة طويلة سابقة من الحقد والكراهية والعنصرية. ومعلوم أنّ ضحيّة جرائم الكراهية غالباً ما تكون مختارة بشكل عشوائيّ وبدون أيّ ذنب سوى أنّها تنتمي إلى الـ (هُم) لأنّ منطق مرتكبي جرائم الكراهية يقسّم المجتمع على مبدأ الـ (نحن) و الـ (هُم)، وأيّ شخص ينتمي للـ (هُم) هو هدف لكراهية وعنصريّة المجرم.

لا يشعر المجرم في جرائم الكراهية بالندم أو تأنيب الضمير عمّا اقترفه من جرائم، بل على العكس من ذلك يشعر القاتل بالرضا والراحة والفخر لما ارتكبه من أعمال قتلٍ وتمثيل بالجثث كانتقام وتشفّي؛ ومن أشهر جرائم الكراهية ممارسات البيض ضدّ السود في أمريكا وجرائم الصهيونيّة ضدّ الشعب الفلسطينيّ، وأقذرها مجزرة «صبرا وشاتيلا» التي ارتكبت بالتنسيق بين «إيلي حبيقة» المنتمي حينها إلى حزب القوّات اللبنانيّة ووزير الدفاع الإسرائيليّ «أريئيل شارون»، وقد بلغ عدد ضحايا المجزرة أربعة آلاف شهيد فلسطينيّ معظمهم من الأطفال والنساء والحوامل المقيمين في المخيّم. ومن جرائم الكراهية أيضاً مجزرة «حلبجة» التي راح ضحيتها خمسة آلاف شهيد معظمهم من الأطفال والنساء، والتي قامت بها قوّات «صدّام حسين»، إذ يُلاحظ بأنّ في كلّ هذه الجرائم كانت الضحايا مختارة بشكل عشوائيّ ولم يشعر القتلة بأيّ ندم أو تأنيبٍ للضمير.

وفي سوريا

وعلى هذا المنوال، ارتُكبت المجازر ضدّ المدنيّين في مناطق متعدّدة من سوريا، واتّسمت بالعنف والقسوة المفرطَين، وقُتل فيها المدنيّون بشكل عشوائيّ ودون أيّ ذنب سوى انتمائهم للـ (هُم).

ومن الجرائم التي توضع تحت بند جرائم الكراهية استهداف مسلحيّ المعارضة بتاريخ ٢٠١٢/١/٢٦ أحياء وادي الذهب و الزهراء في حمص بقذائف (آر بي جي)، ممّا أدّى إلى مقتل أربعة أشخاص وجرح عشرين شخصاً، وردّاً على ذلك قَتل مسلّحون موالون للنظام أربعة عشر شخصاً من بينهم ثمانية أطفال من أفراد أسرة واحدة من حيّ «كرم الزيتون»، في اليوم التالي، ردّ مسلّحو المعارضة بقتل رجلين وخمسة أطفال وخمس نساء من عائلة حمصيّة كلّ ذنبها أنّها تنتمي إلى (هُم)، وفي ٢٠١٢/ ٣/١٢ اقتحمت حيّ «الزيتون» ميليشيات تابعة للنظام وقتلت سبعة وأربعين شخصاً أغلبهم من الأطفال والنساء، ونكّلت المليشيات بالجثث ومثّلت بها، دون أيّ وازع أخلاقيّ أو ضمير، وفي اليوم التالي قام مسلّحون معارضون باستهداف عائلات كلّ ذنبها أنّها تنتمي لطائفة الرئيس في حيّ «كرم اللوز» وقُتل منها خمسة عشر شخصاً، بينهم أطفال، مع التنكيل بالجثث، وبعدها ارتُكبت جرائم مشابه بين الطرفين وفي معظم هذه الجرائم كان الضحايا يتمّ استهدافهم بشكل عشوائيّ وكلّ ذنبهم أنّهم ينتمون للآخر الـ (هُم).

عموماً كلّ الجرائم التي سبق ذكرها كانت بين جيران، ولم يمنع الانتماء إلى تاريخ مشترك ووطن واحد وفترات التعايش الطويلة المجرمَ من ارتكابه لجريمته والتشفّي من الضحيّة، ومثل هذه الجرائم ارتُكبت في الكثير من مناطق سوريا.

ويظهر جليّاً أنّ ما ارتُكب في سوريا من جرائم كراهية ينمّ عن حالة من الحقد الدفين في قلوب مرتكبيها، وقد ساهم الإعلام بقسط كبير في تأجيجها بشكل غير مسبوق من خلال بثّ التحريض والحقد الطائفيّ والتنميط المسبق والتحيّز والتركيز على كلّ ما هو طائفيّ بين طرفيّ الصراع في سوريا وتضخيمه لدرجة جعلت المتابع يصل لقناعةٍ مفادها: أنّ ما يجري في سوريا إنّما هو صراعٌ طائفيّ بامتياز، بالإضافة إلى فشل النظام على مدى أكثر من أربعين عاماً من إنجاز الهُويّة الوطنيّة لمكوّنات الشعب السوريّ.

الحاجة إلى خطّة

ولا شكّ بأنّ جذور جرائم الكراهية ناتجة عن مُناخ عامّ واسع من التمييز والخوف والتعصّب بشأن مجتمعات مستهدفة بعينها، وهو ما قد تتردّد أصداؤه أيضاً في السياسات العامّة أو هو يشتدّ بسببها، لذا فإنّنا بحاجه إلى خطّة وطنيّة عامّة تعتمد خطوات مدروسة للتعامل مع هذا النوع من الجرائم، ومنها تغليظ العقوبات بحقّ مرتكبي هذا النوع من الجرائم وتشكيل لجان مصالحه من الطرفين ووضع مناهج تعليميّة تنشر التسامح والمحبّة والاحترام، والأهمّ من ذلك كلّه العمل على بناء دولة المؤسّسات التي يكون فيها جميع المواطنين متساوون أمام القانون.

حقيقة إنّ سوريا بحاجه ماسّة إلى جرعاتٍ كبيرة من القانون والحبّ والتسامح.

المحامي محمّد حمو

المسارات السورية المغلقة

دائرة الموت السورية محكومة حتى الآن بنوعين من الفيتو، الأول ديبلوماسي ـ حقوقي تمارسه بكل فجور كلا من الصين وروسيا لتجهض أي محاولة أو جهد دولي لإحالة ملف الجرائم والانتهاكات المرتكبة في سورية إلى محكمة الجنايات الدولية.

والفيتو الثاني وهو المتعلق بالشأن العسكري الذي تمارسه بكل خسّة ووضاعة الولايات المتحدة الأمريكية ضد أي محاولة أو مسعى لتزويد الجيش السوري الحر بالسلاح النوعي الذي ربما يحدث اختلالا في موازين القوى ضمن حلبة الصراع الذي لا يراد له على ما يبدو أن ينتهي.

على المستوى الأول يمثل إجهاض روسيا لأي محاولة لمساءلة مرتكبي الجرائم والفظاعات والانتهاكات درع حماية منيع وتصريحا بالقتل يطلق يد سلطة العصابة في ممارسة كل أنواع الجرائم والتفنن في ارتكابها وهي تشعر بالطمأنينة والارتياح أن ما تفعله سيبقى دون مساءلة على المستوى القانوني وبلا ثمن على المستوى السياسي، ذلك أنه ما الذي يدفع تلك العصابة لتقديم أية تنازلات سياسية لخصومها طالما أنها ليست مضطرة لذلك أو مكرهة عليه في إطار مقاربة الحلول السياسية التي يسعى المجتمع الدولي لصياغة إطار لها من قبيل عدم إراقة ماء الوجه وإسقاط (العتب) كما يقال.

وعلى المستوى الثاني فإن الفيتو الأمريكي على تقديم أو السماح بوصول أسلحة نوعية للمقاتلين السوريين من شأنها أن تغير معادلات القوة في حلبة الصراع بحجة الخوف من وقوعها في الأيدي الخطأ (وهو على كل حال قول حق يراد به باطل) يشي بموقف أمريكي خلاصته أنهم لا يريدون ـ حتى الآن على الأقل ـ لمعادلات القوة أن تتبدل ولا يريدون بالتالي من نهايات حاسمة لهذا الصراع سواء أكان الحسم بسقوط الأسد وعصابته أم بهزيمة الثورة.

دائرة الاستنزاف لكل القوى المنخرطة في هذا الأتون لا يراد لها أن تغلق... سورية صارت الثقب الأسود الذي يجذب كل قوى وأشكال التطرف وأدواته المختلفة إليه ويشغلها في طاحونة الموت بين بعضها بعيدا عما يفترض نظرياً أنه عدوها الأساس والمشترك.

المسارات العسكرية والقانونية المغلقة ستنتج بالضرورة إغلاقاً محكماً للمسار السياسي الذي من المفترض أنه أطل برأسه في جنيف، فالحلول السياسية ليست محض محادثات وتصورات ورؤى معزولة عما يجري من تفاعلات وتحولات في ساحات الصراع الأخرى بل هي منعكسات لمحصلة القوى وصراع المصالح فيها.

وهذا ما حصل تماماً.. لقد أسدل الستار على مهرجان جنيف واستقال الأخضر الابراهيمي الديبلوماسي المحنك الذي لا يريد أن يسجل فشلاً مدوياً في حياته المهنية لأنه أدرك مما في جعبته من معطيات أن كافة المسارات السورية ماتزال مغلقة، وأن دائرة الموت السورية ما تزال حاجة دولية لا يريد أحد أو لا مصلحة له الآن في إطفاء لهيب سعارها... وربما ذاك هو الشيء الوحيد المتوافق عليه.

المحامي غزوان قرنفل

حسين الهرموش

أعلن المقدّم حسين الهرموش انشقاقه عن جيش النظام في ١٠ حزيران ٢٠١١ مُعلّلاً بقوله: «قَتلُ المدنيّين العُزّل من قبل أجهزة النظام». وبعد انشقاق الهرموش بقليل أعلنَ تأسيسه لحركة لواء الضبّاط الأحرار ووجَّه نداءً إلى عسكريِّي الجيش للانشقاق والالتحاق بها.

هربَ حسين الهرموش في وقت لاحق إلى تركيا واستقرَّ فيها، واستمرَّ من هناك بإدارة عمليّات لواء الضباط الأحرار. لكن في صباح يوم الإثنين ٢٩ آب ٢٠١١ ذهب إلى لقاءٍ مع مسؤولين أمنيِّين أتراك في أحد مخيَّمات اللاجئين على الحدود السوريّة التركيّة، وبعد ذهابه إلى هذا الاجتماع اختفى في ظروف غامضة، فقد تمكّنت قوّات أمن النظام من اختطافه وتهريبه إلى الأراضي السوريّة مع ثلاثة عشر عسكريّاً آخر من لواء الضبّاط الأحرار.

بعد اختطاف حسين الهرموش بدأ جيش النظام عمليَّة اجتياح لقرية «إبلين» في جبل الزاوية مسقط رأس المقدّم، وحيث تُقيم معظم عائلته، ويعتقد البعض أنّ سبب هذا الاجتياح كان الضغط عليه للتراجع عن أقواله السابقة التي تلت انشقاقه عن الجيش. ففي صباح يوم الخميس ٨ أيلول اجتاح الجيش القرية بدبّابة وسبع مدرعات وعشرات السيّارات التي تُقلُّ رجال الأمن، واستهدفت هذه القوّات بشكل خاصّ منازل عائلة الهرموش. وهدم الجيش ١٥ منزلاً في القرية بالجرَّافات.

اعتقلَ النظام إخوة وأقارب الهرموش وأعادوهم جثّثاً هامدة، وكان آخر من اعتقل من عائلته هو أخوه «وليد»، الذي ألقيَ القبض عليه في ٥ تشرين أوّل بعد نصب كمين له في قرية «عزمارين» ولا زال مجهول المصير حتّى الآن.

في مساء الخميس ١٥ أيلول ٢٠١١ قالت وكالة سانا السوريّة إنّها ستبثّ قريباً «اعترافات» لحسين الهرموش حوله وحول حركته. وبالفعل سُرعان ما ظهر حسين على شاشة قناة «الدنيا» الفضائيّة، ليقول «إنّ جيش النظام لم يأمرْه يوماً بإطلاق النار على مدنيّين، وأنّ انشقاقه كان بعد «وعود كاذبة» تلقّاها من ناشطين معارضين في تركيا، لكنّهم خانوه بعد ذلك ولم يوفّوا بوعودهم، فقرَّر العودة إلى سوريا».

وكانت تبدو على وجه المقدّم حسين الهرموش خلال مقابلة قناة «الدنيا» معه آثار واضحة لتعذيب شديد تعرّض له، وكانت الكثير من التعديلات والتقطيعات المطبّقة على مشاهد المقابلة لإظهارها بالشكل الذي يُريده إعلام النظام المجرم.

فريق التحرير

مقاتل أم قاتل؟

كلنا لا للقنص..... لا للقتل بكلّ أشكاله.
القنّاص قد يلجأ لسلوكه في محاولة لاستمرار التوازن النفسيّ أو تعديله بتأثير أليّات دفاعيّة عُصابيّة

شابّ يريد اجتياز معبر الكراج (حلب) للوصول إلى مدرسته ويبدأ خطواته بحذر خشيه أن يتلقّى رصاصة قنّاص النظام القابع في أحد الزوايا يراقب خطوات ضحاياه من المارّة لانتقاء أحدهم ليكون وليمة للموت.

طبيب مدنيّ يريد الذهاب لمكان عمله في أحد مشافي دمشق المحاذية لمنطقة ثائرة ويمشي بحذر خوفاً من أن تناله رصاصة القنّاص التي قتلت زميله في المرّة السابقة.

فتاة تخشى التحرّك دون غطاء الرأس في مكان، وأخرى تضطرّ لخلعه والسبب رصاصة قنّاص.

ولدى كلّ منا الكثير حول ما شاهده أو تعرّض له أو سمع عنه حول تلك الرصاصة القاتلة.

مقاتل أو قاتل

من أهمّ مخاطر الحروب والنزاعات المسلّحة، ظهور أدوار جديدة لم تكن موجودة ولعلّها لم تكن ضمن احتمالات أصحابها، فالبعض يجد نفسه وجهاً لوجه مع السلاح ليتحوّل ودون مقدّمات إلى مقاتل، والبعض الآخر ممّن اعتاد حمل السلاح يجد الوقت المناسب لتنفيذ كلّ ما تعلّمه من مهارات تتناسب مع مستوى العنف وسمات شخصيّته والشدّة التي تعرّض لها.

فيضطرّ للعب دور المقاتل ليواجه نظيره المسلّح بشكل مباشر أو غير مباشر ولأسباب عدّة ضمن نطاق جغرافيّ يمثل أرض المعركة.

في حين تسيطر فكرة القتل على البعض منهم، لدرجة التماهي في لعب دور القاتل وبصفة المتخفّي عن بعد-القناص- وتبدأ دوّامة القتل المجانيّ

ضحايا عشوائيّين

والأكثر خطورة في تحوّل هؤلاء إلى قتله متخفّين «قنّاصين snipers» هو التلذّذ بقتل لآخرين وبطريقة عشوائيّة فقط لاعتقادهم بأنّ هؤلاء الضحايا هم أعداؤهم بالانتماء أو الديموغرافيا، أو ربّما في كلّ ما يظنّون أنّه مبرِّر للقتل. ويكون معظم هؤلاء الضحايا من المدنيّين والمارّة، حيث يسبّ لهم وجود هذا المجرم المتخفّي عرقلة للحياة وإثارة للرعب والهلع والترهيب المرافق لتوقّع الموت الدائم. بالإضافة لحالة فقدان الاتزان الانفعاليّ، والتي تشكّل أحد عوامل الخطر المساهمة في ظهور العديد من المشكلات والاضطرابات النفسيّة لدى هؤلاء الضحايا المحتملين وذنبهم هو وجودهم في المكان والزمان غير المناسبين.

سيكولوجيا القنّاص

تبدو الدراسة النفسيّة لسمات شخصيّة القنّاص والأسباب التي دفعته للقيام بهذا السلوك معقّدة نسبيّاً لصعوبة الوصول إلى هذه الفئة من الأشخاص والتعامل معهم إلّا في نطاق علم النفس القضائيّ أو الجنائيّ، وهذا ما يعدّ غير ممكن ولاسيّما في حالات الحروب والنزاعات المسلّحة وغياب سلطة القانون والقضاء.

ومن هنا كان لابدّ من طرح السؤال من هو القنّاص (القاتل عن بعد)؟

يعدّ سلوك القنص سلوكاً مقصوداً، يقوم به شخص لديه خبرة في الأعمال العسكريّة أو في الصيد أو استخدام السلاح بدقّة، ويميل أن يكون شخصاً وحيداً ومهاراته الاجتماعيّة ضعيفة، لديه نزعات عدوانيّة ورغبة في الانتقام، ويطلقَ عليه المجرم العنيف، وهو المجرم الذي تثيره حالة انفعاليّة غير عاديّة، والبعض منهم يرتكب جريمة القنص للأخذ بالثأر أو لاعتبارات سياسيّة أو اجتماعيّة أو شخصيّة ضمن مناطق صراع معيّنة.

وإذا كان القنص كسلوك هو أحد أشكال الجريمة، يمكننا القول حسب وجهة نظر التحليل النفسيّ، بأنّ القنّاص قد يلجأ لسلوكه في محاولة لاستمرار التوازن النفسيّ أو تعديله بتأثير أليّات دفاعيّة عُصابيّة، لكنّ وجهتها نحو البيئة الخارجيّة.

العوامل النفسيّة المؤهّبة لهجمات القنّاص

ما الذي يحفّز هؤلاء الأشخاص للقتل مختبئين؟

حاول علماء النفس الإجابة عن هذا السؤال فظهرت تساؤلات أكثر ممّا توصّلوا إليه من إجابات؟

ويبقى السؤال الرئيسيّ ما الذي يدفع هؤلاء الأشخاص ليكونوا قاتلين؟

هل يخطّط القنّاص لهجماته أو نوبة القنص «attack sniper»، وهل يرتبط عاطفيّاً بخطّته لدرجة عالية من النرجسيّة، والتي تجعل منها هدفاً جوهريّاً أو ربّما لعبة أو تسلية؟

هل هو شعوره بالرغبة في السيطرة على حياة الآخرين؟ من سيَقتل؟ ومن سيُبقي اليوم؟ هذه الرغبة الدفينة في التحكّم بالحياة والموت، وأخذ دور المتحكّم بـالأرواح، وما مستوى الاضطراب النفسيّ الذي يُحتمل أن يكون لديهم؟ ما طبيعة وشدّة العنف والرغبة في القتل لضحيّة لا تعلم متى ولماذا تُقتل؟

وقد أوضح بعض علماء النفس القضائيّ من خلال متابعتهم لبعضٍ ممّن قاموا بعمليّات القنص أنّ لديهم سمات شخصيّة مختلفة ولديهم ميل للأفكار والمعتقدات الغريبة ولكنّهم لم يستطيعوا إثبات وجود خلل عقليّ لديهم.

وفي محاولة لعلم نفس الجريمة تفسير هذا السلوك في إطار نظرية الارتباط - مشكلات العلاقات - والإجهاد strain and attachment theory، والتي تشير إلى تأثير فشل الفرد في تحقيق أهدافه بنجاح والإجهاد والضغط النفسيّ المرتبط بذلك دور في ظهور هذا السلوك، ويُقصد بنظرية الارتباط السياق التطوّريّ لعلاقة الفرد بمحيطه البيئيّ والأسريّ، ونجاحاته وفشله في الارتباط معهم، والتي قد تدفعه إلى القتل المتخفّي ليخفّف شدّة التوتر وما يولّده لديه من شعور بالضيق الحادّ من جهة، ومن جهة ثانية، فهو يسعى لتعويض ذلك بالبحث عن المعنى والقيمة الذاتيّة بطريقة مختلفة، وهذا ما وضّحته نظريّات الضبط، والتي تفترض أنّ الدافع للسلوك الإجراميّ يعكس قوّة العلاقات والروابط بين الفرد والآخرين ذوي التأثير الإيجابيّ عليه، وبناءً عليها إمّا أن تُسهم هذه العلاقات في ظهور واستمرار السلوك الإجرامي، أو تكون عاملاً مساعداً في عدم ظهوره والحدّ منه.

وقد أكّدت بعض دراسات علم النفس العسكريّ والجنائيّ، وكما وضّح (Hayslett-McCall and Bernard,; 2002) أنّ بعض الأشخاص ممّن يلتحقون بالأعمال العسكريّة أو ما يماثلها يكونون قد تعرّضوا للعزلة والفشل الاجتماعيّ في مرحلة الطفولة، وهم ممّن يعانون من نقص تقديرهم لذواتهم ونقصٍ في المهارات الاجتماعيّة والتواصل، يدفعهم إلى محاولة إثبات الوجود واستعادة القيمة الذاتيّة لدرجة يرفضون فيها الفشل في هذه البيئة والتي يمكن أن تتحوّل إلى نزعات تدميريّة عنيفة والتي قد تحوّل الفرد إلى شخصيّة إجراميّة سيكوباتيّة مضادّة للمجتمع.

وقد يتطلّب الأمر الكثير من البحث والدراسة المنظّمة لنستطيع الحديث وبموضوعيّة حول سيكولوجيا القنّاص ودوافعه وصراعاته وسماته الشخصيّة واضطراباته ...

هي إضاءة خجولة وصوت في وجه ما تفرزه الحروب المقيتة علّها تصل إلى مَن يعتقد أنّ سلوك القنص جزء من الثورة والقتال من أجل الحرّيّة، أو يظنّ أنّ ما يقوم به يمثّل سلوك الثائرين ممّن اضطرّوا لحمل السلاح.

وسؤال لكلّ من يحمل السلاح هل أنت مقاتل أم قاتل؟

المراجع

Immelman .Aubrey ,(2002): Psychological and biological factors motivate sniper attacks Psychology Department Newsletter , Issue2 College of St. Benedict St. John›s University St. Joseph, MN 56352 Collegeville, MN 56321.

Hayslett-McCall, K. L., & Bernard, T. J. (2002). Attachment, masculinity, and self-control: A theory of male crime rates. Theoretical Criminology, 6(1), 5-33. doi:10.1177/136248060200600101

Swart Joan ,(2010): The Psychology and Profiling of a Sniper , August 8.

جلّنار صادق

التعصّب

كلنا • يزداد التطرّف ويزداد التعصّب عند الأفراد الرازحين تحت وطأة الحرب.
• يبدو العنف كحلقة مفرغة بين جماعتين متطرّفتين، وبحيث لا يمكن تحديد أيّ الجماعتين بدأت ممارسته على الأخرى
• كلّما كان الشعور أضعف بالانتماء كلّما كان التطرّف أقوى وأكثر شدّة وعنف

التعصّب أو التطرّف أو الرفض المطلق للرأي الآخر والاستهزاء به واستحقاره، هذه هي مسمّيات مختلفة لحالة واحدة، ولكنّها ليست الوحيدة أبداً، وبوسعنا أن نشاهد التعصّب ضمن مجالات مختلفة في الحياة، في الدين أو العرق أو الانتماءات السياسيّة المختلفة أو حتّى المهنيّة، وقد يكون وجودها غير واضح للبعض، ولكنّ أشدّ أنواع التعصّب وضوحاً وبروزاً نجدها في الدين أو الانتماءات السياسيّة، وهذا لا يعني أنّ التطرّف محصور في هذه الحالات، حيث يمكننا مشاهدتها بوضوح كتطرّف ضدّ الدين مثلاً أو تطرّف ضدّ التطرّف.

ولكن هل التعصّب على درجة واحدة عند الجميع؟ بالطبع لا، فهنالك درجات عديدة للتعصّب، حتّى أنّنا قد لا نلاحظ وجودها عند البعض، الذين يظهر لديهم بشكل مخفيّ مقنّع بأقنعة أكثر قبولاً، ولكن ما أن نزيل تلك الأقنعة لأيّ سبب كان، وتحت أيّ ظرف كان، حتى يبدو جليّاً واضحاً في تجذّره.

أهمّ ما يميّز التطرّف أو التعصّب، هو الرفض المطلق للآخر المختلف، والرغبة وأحياناً العمل على قتله أو محوه تماماً من الوجود، والنظر إلى هذا المختلف على أنّه إمّا آثم أو متخلّف أو أقلّ قيمة ومكانة وشأناً وأنّه غير قابل للتطوّر أو التحسّن أو الاستمرار، بل ويشكّل خطراً كبيراً جدّاً على الإنسان أو الكون أو الدين أو الطائفة أو العرق أو الطبقة الاجتماعيّة أو غيرها، بمجرّد وجوده على قيد الحياة لا غير، ولكن لماذا؟؟ لماذا يوجد التعصّب والرغبة في إلغاء الآخر؟

في واقع الأمر، يمكننا أن نرى الكثير من الأشياء التي تقبع وراء التطرّف والتي قد تكون مسبّبة له بشكل أو بآخر، وربّما تكون أهمّ تلك العوامل هي الحاجة القويّة للانتماء التي تكون داخل كلّ متطرّف، ولكنّها في الوقت ذاته غير موجودة.. أي وجود الرغبة الكبيرة بالانتماء إلى جماعة ما سواء دينيّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة يختارها الشخص وفقا لتناسبها مع ظروفه التي خُلِق أساساً عليها، ولكنّه في الوقت نفسه لا يشعر بهذا الانتماء، وكردّة فعل عكسيّة يقوم بالمبالغة في إظهار هذا الانتماء.

ويمكن القول إنّه كلّما كان الشعور أضعف بالانتماء كلّما كان التطرّف أقوى وأكثر شدّة وعنف، فهو كمحاولة لإثبات انتمائه، يسعى إلى محو كلّ مختلف عنه، وذلك كي لا يزعزَع عنده هذا الانتماء، الهشّ بطبيعة الحال. ولكن هل هذا المسبّب الحقيقيّ والوحيد للتطرّف؟

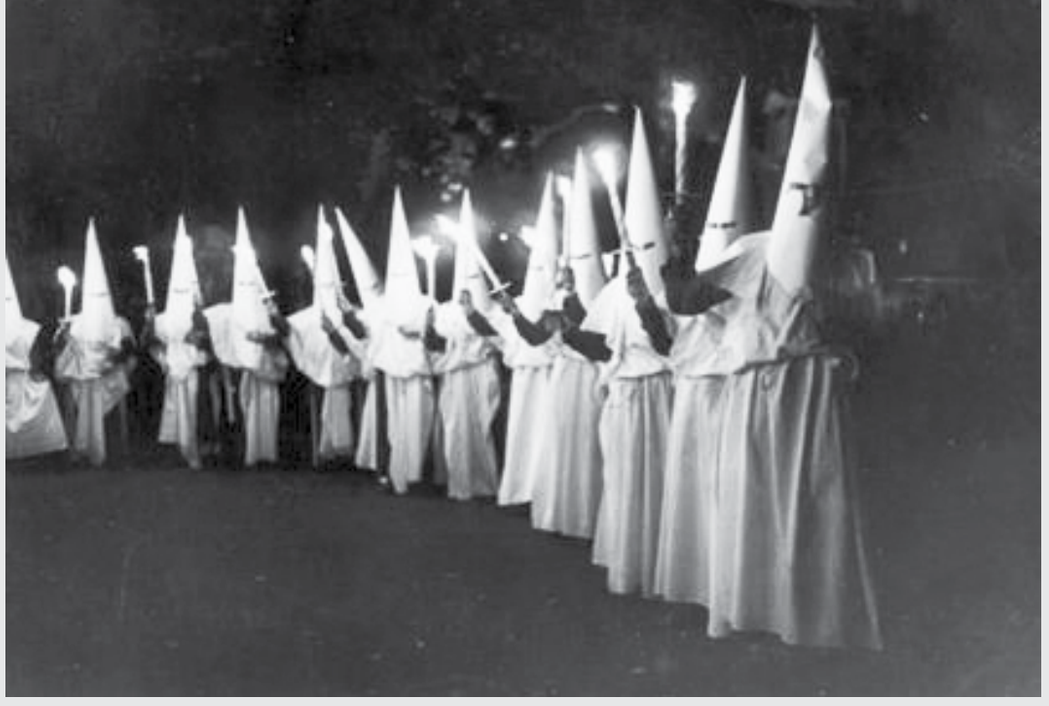

في الحقيقة، هنالك سبب قويّ جدّاً أيضاً نجده عند المتطرّف وهو الحفاظ على البقاء، فالأمر يبدو كحلقة مفرغة بين جماعتين متطرّفتين، وبحيث لا يمكن تحديد أيّ الجماعتين بدأت بممارسة العنف على الأخرى، وغالباً ما يكون هذا الأمر مَنسيّ عند كلتيهما، كحدث واضح جليّ مباشر، وكأيّ حلقة، يتعذّر تماماً الإقرار بنقطة البداية، حيث تشعر كلّ جماعة بالتهديد المباشر الموجّه إليها من قبل الجماعة الأخرى، فتزداد تطرّفاً كمحاولة لحماية نفسها وبقائها، ويزداد عنفها الموجّه نحو الجماعة الأخرى، والتي في المقابل ستزداد تطرّفاً كمحاولة لحماية بقائها. وهكذا، فالأمر تماماً يبدو كحلقة مفرغة لا يمكن كسرها أبداً حتّى وإن تمّ اضطهاد إحدى الجماعتين بشكل كامل، فالأمر لن يتوقّف، فالمسألة مجرّد مسألة وقت هنا، أي لا بدّ أن تقوم تلك الجماعة المضطهدة ثانية وتسعى للثأر.

وكما نرى فالأمر شديد التعقيد، وكلّ جماعة تتكوّن من أفراد لديهم أزمات انتماء حقيقيّ وشعور دائم بالخطر والتهديد المباشر أو الغير مباشر؛ ويمكننا القول بأنّ معظم -وإن لم يكن جميع -المتطرّفين لديهم طريقة واحدة في النظر إلى الأمور، حيث يتعذّر عليهم تماماً رؤية أيّ أمر من زوايا متعدّدة ومختلفة، متصلّبين في آرائهم متخشّبين في سلوكيّاتهم.

لن يسعنا المكان هنا للتوسّع أكثر في تحليل التطرّف سيكولوجيّاً، ولكن يمكّننا الآن بكلّ بساطة أن نصل إلى استنتاج بسيط أنّه ستزداد حالات التطرّف وضوحاً وظهوراً وانتشاراً في حالات الحرب والكوارث، وليس الأمر بغريب على الإطلاق، حيث تغدو مشاعر الانتماء أكثر هشاشة عنها في أوقات السلم، كما تبرز مشكلة البقاء بشكل جليّ وعنيف جدّاً، لذا يزداد التطرّف ويزداد التعصّب عند الأفراد الرازحين تحت وطأة الحرب.

وأخيراً، يمكننا أن ننظر إلى التطرّف كآليّة دفاعيّة نفسيّة تجاه التهديد الموجّه نحو الأنا، كما يمكننا أن ننظر إليها كآليّة دفاعيّة تجاه التهديد الموجّه نحو الجماعة التي ينتمي لها الإنسان، لذلك لن يكون الحلّ على الإطلاق بزيادة العنف الموجّه نحو المتطرّف أو نبذه أو نفيه أو غيرها من الوسائل، والتي فعلاً، لن تزيد الأمر إلّا سوءاً. بل يجب مواجهة هذه الحالات بالطرق النقيضة تماماً.

ريم الحاج

دور الثقافة في تعزيز التعايش المشترك ٢/١

ليس الحوار من أجل التفاهم والتواصل بين الأفراد والجماعات بالجديد في تاريخ البشر، فمنذ بدء الخليقة والإنسان في حوار مستمرّ لم يقتصر على بني جلدته بل تعدّاه إلى كلّ الكائنات المرئيّة وغير المرئيّة، الجامدة والحيّة.

فقد عُني فلاسفة الإغريق بالحوار وأفردوا له مكانة لائقة في كتاباتهم، كحوارات سقراط ومحاورات أفلاطون. ناهيك عمّا قدّمه المسرح الإغريقيّ في هذا المجال، ففتح باب الحوار حتّى مع الآلهة، ولقد كان مَعيناً وزاداً للحضارة الغربيّة التي انطلقت من جديد في عصر النهضة.

وبالعودة إلى تراث المنطقة وتاريخها سنجد أنّ السومريّين كانوا من أوائل من لجأ إلى الحوار، وذلك في شكل قصائد شعريّة، كالحوار بين السيّد والعبد، وحوار النسر والحيّة، وفي عهد الخليفة العبّاسيّ المأمون تحوّلت المناظرات والحوارات بين الأديان المختلفة، حتّى غير السماويّة، والمذاهب إلى تقليد له أصوله، وذلك برعاية من الخليفة نفسه. ولم يُغفل القرآن الكريم هذا الجانب بل ذكره في أكثر من موضع، كهذه الآية الكريمة التي تُظهر الدعوة إلى الالتزام بآداب الحوار بشكل واضح إذ يقول سبحانه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥].

ولقد برز المعتزلة في التاريخ الإسلاميّ كأوّل مذهب معنيّ باحترام حقّ الاختلاف قبل غيره من المذاهب إذ كان العقل في فكرهم هو المرجع الأوّل حتّى في الإيمان.

وفي النصوص الدينيّة الإيزديّة الكرديّة القديمة، كالحوار بين الأرض والسماء، والحوار بين الأستاذ والتلميذ، ما يؤكّد عنايتهم بهذا الجانب.

إنّ كلّ ما سبق الإشارة إليه من حوارات ومناظرات فكريّة وأدبيّة ودينيّة، وما حفل به الفكر الأوروبّيّ من دراسات ونظريات بهذا الخصوص، يشكّل زاداً معرفيّاً وفكريّاً وروحيّاً وبوصلة يسترشد بها المثقّف في استخدامه الحوار من أجل ترسيخ مبادئ العيش المشترك بين مكوّنات الشعب السوريّ.

لا شكّ أنّ مفهوم العيش المشترك مثل باقي المفاهيم، ليس واحداً لدى الجميع، فهو يختلف من جماعة لأخرى، وخاصّة لدى الجماعات السياسيّة بمختلف توجّهاتها، لأسباب يطول شرحها في هذه العجالة، إذ أنّ كلاً منها مرهون بجانب دون الآخر، كالقوّة أو المصالح أو الأجندة أو حتّى الثقافة والتربية الاجتماعية، تقرؤه كلّ جماعة من زاوية معيّنة، ومنظور خاصّ بها، يتقدّم فيها عنصر من عناصره المكوّنة على غيره، حيث يتقدّم عنصر الأمان لدى جماعة على الحرّيّة، أو يتصدّر جانب التسامح على المكاشفة والنقد لدى جماعة أخرى، وأمن الوطن على الخصوصيّة لكلّ مكوّن، في قراءات وشعارات تطفح على السطح كلّما غرقت البلاد في أزمة، لتنحسر مع نهاية الأزمة، ثمّ تعود المشكلة مرّة أخرى، وبأسلوب جديد، وهكذا دواليك. كلّ ذلك لأنّ هذا الحوار كان آنيّاً، ووليد اللحظة، وبقصد إدارة أزمة، وهو قبل كلّ شيء سياسيّ بامتياز: في كلّ مفاصله ومفرداته، ولقد أثّر ذلك كلّه على مصداقيّة حوار الساسة في الشارع السوريّ، وعدم جدواه، لأنّ السياسة كانت على الدوام، ولجملة من الأسباب، محلّ شكّ وارتياب، بل وسخرية، ملعب السياسيّين.

في ظلّ كلّ ما سبق تبقى الثقافة الحقل الذي مازال يحتفظ بمصداقيّته ونزاهته، رغم حرص كثير من المثقّفين على البقاء بعيداً عن قضايا ساخنة ذات بعد سياسيّ أشكاليّ على أكثر من مستوى، مثل قضيّة الأقليّات الدينيّة والأثنيّة، والاكتفاء بدور الجناح في ملعب السياسيّين.

ولقد أثبتت الأحداث والتاريخ خطأ هذا الموقف. وفداحة الثمن الذي تمّ دفعه.

وبالضدّ من كلّ ما سبق حدوثه، يأتي دور المثقّف في منح مفهوم التعايش الأخويّ المشترك في الوطن بما ينسجم مع طبيعة الثقافة في بعدها الإنسانيّ العميق والاستراتيجي.

وذلك لن يكون بلا إقرار بأنّ الحوار الذي سيستخدمه لن يكون آنيّاً ولا مرتبطاً بأجندة سياسيّة، وأساسه المكاشفة واحترام الرأي والرأي الآخر والاعتراف به، ويبدأ بنقد كلّ ما سبق حدوثه من ظلم وغبن في جرأة تليق بالمثقّف، والهدف النبيل الذي يسعى لتحقيقه.

قد يكون من المفيد، والمثير للسخرية والتأمل، مراجعة موقف النظام من مسألة الأقليّات، ومنها الشعب الكرديّ في سوريا، في زعمه اليوم أنّه الحامي لها من غلو الأكثريّة العربيّة والسنيّة، وحماية هذه الأكثرية ووطنها من أحلام هذه الأقليّات، ومساعيها لاقتطاع جزء من أرض الوطن وإلحاقه بدولة أجنبيّة، التهمة التي كان يكرّرها النظام ضدّ كلّ كرديّ خاصّة عندما يرتفع صوته ضدّ سياسة التهميش والغبن والقهر بحقّ شعبه، وتسويق هذه التهمة في الشارع العربيّ، واعتقال صاحبه، حتّى ولو كان الصوت ينادي: عاشت الأخوّة العربيّة الكرديّة، كما فعل في بداية سبعينات القرن الفائت مع مجموعة من الشباب الكرد الذين ردّدوا هذا الشعار في حفل عامّ، في سياسة تهدف إلى ضرب كلّ ما يؤصّل العيش المشترك بين كلّ المكوّنات الوطنيّة.

ومنذ ذلك الحين بقي ردّ فعل النظام هو هو، المزيد من الاعتقال، والتشويه، على دعوة الكرد للأخوة الكرديّة العربيّة، دون أن يجد الكرد من يردّد صدى هذا الشعار في الشارع العربيّ، لا أدبيّاً ولا فكريّاً ولا سياسيّاً، خلا استثناءات قليلة جاءت بشكل مهموس وفي أوقات عصيبة وبقصد إنسانيّ أقرب إلى الشفقة منها إلى شيء آخر، وطنيّ أو حضاريّ، بل إن أصواتاً مشبعة بثقافة التركيز على الذات والتخوين تعالت في مقارنة مطالب الكرد بالمشروع الإسرائيليّ، وبأنّ «خودي»، الذي يعني باللغة الكردية الله، قد وعد، على غرار ربّ الصهاينة، الكرد بوطن قوميّ، ولذلك لابدّ من الحذر من هذه الملّة وعدم التعامل حتّى مع الطبيب الذي ينتمي إليها لأنّه سيصف السمّ للمريض العربيّ بدل الدواء الشافي.

هذا ما كتبه باحث عربيّ أبّان انتفاضة الثاني عشر من آذار سنة ٢٠٠٤، وكتابات أخرى في الصحافة السوريّة لكتاب سوريّين وعرب، تماماً كما ظهر ذلك في كتابات عربيّة إثر الانتفاضة الكرديّة في العراق في تسعينيّات القرن الفائت، تصدّى لها الباحث الكرديّ السوريّ إبراهيم محمود في كتابه «صورة الأكراد عربيّاً» بالنقد، وقبلها ظهرت كتابات من هذا القبيل في سبعينيّات القرن الفائت لكتّاب عرب أمثال عبد الرحمن مجيد الربيعيّ في قصّة له بعنوان روناك، وجمال الغيطاني في «حرّاس البوّابة الشرقيّة»، وكتابات أخرى متفرّقة، دون أن يكتب مبدع عربيّ نصّاً أدبيّاً يتناول فيه شخصيّة كرديّة أو حدثاً كرديّاً يُعرّف القارئ العربيّ بشريكه ومواطنه الكرديّ، خلا قصّة للكاتب السوريّ إبراهيم الخليل، وقصيدة للشاعر الكبير محمود درويش. وأخرى لمهدي الجواهريّ.

أحمد إسماعيل إسماعيل

الشركس شعب الملاحم النارتيّة أساطير وبطولات وظلم تاريخيّ ٣/١

كلنا يسكن في سورية حالياً قرابة /١٥٠/ ألف شركسي هاجروا إليها جماعيّاً على دفعات ما بين أعوام /١٨٧٩ـ١٩٠٣/م

قراءة تاريخيّة

يؤكّد العلماء أنّ الشركس من السلالة الآريّة، أيّ أنّهم ينحدرون من نفس سلالة الأوربّيّين، ويوافق على هذا الرأي معظم علماء الأنساب المعاصرين. ويدّعي بعض الشراكسة في بعض أساطيرهم أنّهم من سلالة العرب، وبالتحديد من قبيلة قريش، إلّا أنّ هذه الادّعاءات لا أساس لها من الصحّة كما قال المؤرّخ «مورجان»: «هذه المحاولة رغبة منهم في الانتساب إلى الأمّة العربيّة حبّاً في النبيّ محمّد».

الأرض المحروقة

يُعدّ الشراكسة، الذين يدين معظمهم بالديانة الإسلاميّة، أقدم الأمم المعروفة التي سكنت القفقاس الشماليّ، ويقول المؤرّخون الشركس: إنّ لقب «شركسيّ» ليس اسماً لأحد من الأقوام الساكنة في شمال القفقاس ممّا قد مرّ ذكرها، ولا تجد هناك حتّى قبيلة واحدة تحمل اسم: «القبيلة الشركسيّة»، وإنّما هي كلمة أطلقها الأجانب على أبناء شعوب شماليّ القفقاس، واسم أطلقوه على سكّان هذه المنطقة الأصليّين واسم شركس أو لقب شراكسة أو شركسيّ أطلق على جميع الشعوب التي كانت تسكن شماليّ القوقاز بما فيها الشيشان. وبتعبير أدقّ فإنّ اسم شراكسة يطلق الآن على جميع الشعوب التي كانت تسكن الشمال القفقاسيّ.

ولهذه الشعوب حضارة مشتركة، فهم ينحدرون من أصل واحد ولهم ثقافة واحدة، إلّا أنّ اختلاطهم ببقية الشعوب الأخرى أدّى إلى ظهور فوارق لغويّة فيما بينهم. وقد ذكر ذلك «ابن الفقيه» المؤرّخ العربيّ في قوله: «في بلاد القوقاز (القفقاس)حوالي اثنين وسبعين لساناً لا يعرف كلّ إنسان لغة صاحبه إلّا بترجمان». ساعدت تربيتهم القوميّة على تهذيب نفوسهم، وعلى جعلهم أقدر من غيرهم على تحمل المشاقّ ومواجهة الأخطار، وقد تحلّى مجتمع قدماء الشركس بالمهارة الحربيّة والفروسيّة الفريدة والهندام الأنيق، وامتاز بالكثير من المميّزات والتي تأتي في مقدّمتها المهارة العسكريّة.

جاء الشراكسة إلى الحاضنة الإسلاميّة بهجرة قسريّة بحثاً عن أمان افتقدوه في موطنهم، وخوفاً ممّن احتلّ أرضهم وطمعاً في الحفاظ على موروثهم الثقافيّ والدينيّ.

وكانت بوصلتهم في رحلة الشتات تشير إلى القِبلة التي طالما صلّوا وتضرّعوا لها.

وكان ذلك إثر انكسار حركة التحرّر الشعبيّة للشعوب الجبليّة في شمال القفقاس واستسلامها للقيصريّة الروسيّة عام /١٨٦٤/ بعد قتال دامٍ ومرير استمرّ أكثر من نصف قرن، في ظلّ صراع عثمانيّ -روسيّ -انكليزيّ للسيطرة على شمال القفقاس وشواطئه، أو ما دُعي وقتها جيوسياسيّاً بالمياه الدافئة، عمدت خلالها القيصريّة الروسيّة إلى تطبيق سياسة الأرض المحروقة، فدمّرت عشرات ألوف القرى وقتلت وطردت سكّانها وحرقت الحقول والمزروعات ونهبت الثروات الماديّة والحيوانيّة، وطردت ما بقي حيّاً من البشر إلى شواطئ البحر الأسود تمهيداً لتهجيرهم، فوصل إلى الشواطئ حوالي /١،٢/ مليون شركسي مات نصفهم تقريباً ما بين الأعوام /١٨٥٩-١٨٦٤/م من الجوع والمرض وبطش الجيش الروسيّ والمرتزقة القوزاق.

يد ملوّثة بالدم

الشركس عانوا مأساة إنسانيّة كبيرة فقد أُبيدت نحو ١٦ قبيلة بالكامل في الحروب التي شنتها روسيا على أراضي الأديغيّه، ولم يبق سوى ٣ أو ٤ قبائل. كما هجر نحو ٥ ملايين شركسيّ إلى ٤٥ دولة في العالم. بدأت حروب الإبادة الجماعيّة للشراكسة منذ العام /١٨١٠/م، واستمرّت حتّى عام /١٨٦٤/م، ويقدّر عدد الشراكسة الذين قتلتهم الجيوش القيصريّة ومرتزقتها من الفرق القوزاقيّة ما بين أعوام /١٨١٠-١٨٦٤/م حوالي نصف مليون شخص أكثر من نصفهم من الأطفال والمدنيّين العزل.

وعلى إثر هذه المجازر تمّ تهجير الشراكسة، فاستقرّ معظمهم في بلدان البلقان وبعض الدول الأوربّيّة وتركيا، وعندما خسرت السلطنة العثمانيّة حرب البلقان أمام الجيش الروسيّ، تمّ تهجيرهم مرّة ثانية إلى تركيا وإلى معظم بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويعيش معظمهم اليوم في تركيا، إذ يبلغ عددهم حوالي خمسة ملايين، والباقي تمّ توزيعهم على سورية والأردن وفلسطين والعراق وليبيا ومصر واليمن ولبنان وتونس.

وللأسف مرّت عمليات الإبادة الجماعيّة، والتهجير القسريّ للشراكسة دون أن يرفّ جفن للعالم المسيحيّ، ولعلّ العالم الإسلاميّ شارك عبر السلطنة العثمانيّة في هذه الجرائم ضدّ الإنسانيّة.

كان الشاعر الروسي الكبير ليرمنتوف شاهداً على وحشيّة الجيوش الروسيّة وعمليّات الإبادة الجماعيّة المنظّمة التي قامت بها القيصريّة ضدّ شعوب شمال القفقاس فقال شعراً:

تحترق القرى فليست لديها حماية،

ومثل الحيوان المتوحّش يغرز المنتصر حربته في البيت المتواضع،

يقتل الشيوخ والأطفال والفتيات والأمهات البريئات،

ويلعن يده الملوّثة بالدم.

أوّل مكان وصل إليه الشركس هو تركيا حيث سكنوا المنطقة المحاذية للبحر، ووظف العثمانيّون شجاعة الشركس وقوتهم في حماية الطرق المؤدّية إلى مكّة المكرّمة.

والعثمانيّون هم من قام بإعادة توطين الشراكسة في سورية على شكل تجمّعات صغيرة في مناطق متعدّدة تخوّفاً من ردّة فعلهم على خيانة العثمانيّين لهم، ولحماية طرق القوافل، وبمثابة حرس حدود لثغور الحضر وصدّ هجمات البدو، ويعيشون حاليّاً في الجولان السوريّ المحتلّ وفي مراكز محافظات وأرياف مدن دمشق وحمص وحماة وحلب ومنبج ورأس العين والرقّة وخناصر وعين دقنه.

أغنوا واغتنوا

تعتبر سورية من البلدان المتعدّدة الأجناس والقوميّات والأديان بحكم موقعها الجغرافيّ، وتتميّز تاريخيّاً برحابة صدر أهلها بإيواء المظلومين واللاجئين المهجّرين قسراً من أوطانهم، وهي من أجمل البلدان طبيعة وبشراً وأخلاقاً وتسامحاً، بعض هذه القوميّات نزحت إلى سورية في القرنين التاسع عشر والعشرين كالأرمن والشراكسة، فأغنوا بثقافاتهم القوميّة اللوحة الفسيفسائيّة البديعة للمجتمع السوريّ المعاصر، واغتنوا هم بالثقافة العربيّة والإسلاميّة العظيمة.

يسكن في سورية حالياً قرابة /١٥٠/ ألف شركسي هاجروا إليها جماعيّاً على دفعات ما بين أعوام /١٨٧٩-١٩٠٣/م، ويشكّل شراكسة سورية اليوم نموذجاً إيجابيّاً وفريداً لتعايش الشعوب والقوميّات المختلفة والمتآخية مع الغالبيّة العربيّة السوريّة، وما زالوا يحافظون على عاداتهم ومجتمعهم الخاصّ، وعلاقاتهم الاجتماعيّة المنفتحة، وأنماط التفكير، والموقف من الحياة، وقد وطّدوا مفهوم المواطنة السوريّة وعزّزوها بإخلاصهم المعروف للعمل ودفاعهم عن وطنهم السوريّ بدمائهم.

ساهموا بنشاط في حركات الاستقلال وفي الثورة السوريّة ضدّ الانتداب الفرنسيّ، وأسّسوا بعد الاستقلال ألوية تطوّعيّة انتحاريّة شركسيّة عام /١٩٤٨/م لتحرير فلسطين وحاربوا الصهاينة من الجبهة السوريّة، أثبتوا فيها بطولاتهم الفرديّة وقدراتهم الحربيّة المنظّمة واعتمادهم على عنصريّ المباغتة والهجوم العاصف، وسقط منهم مئات الشهداء والجرحى.

سيمازا أرسلان

قراءة في كتاب

سورية: درب الآلام نحو الحرّيّة

إنّه كتابٌ ينبني على متابعة وتوثيق تفصيليّ متنوّع وكثيف في المحطّات الرئيسيّة للثورة السوريّة، وعلى معرفة بالعناصر الفاعلة فيها، وعلى رؤية ثريّة، نفّاذة ومشحونة بالخبرة وبالتعاطف العميق. إذ أنّ الكاتب في كتابه، بعد تمهيد ومقدّمة، يعرض ويحلّل لرئيس سورية الجديد وارث الرئاسة من أبيه، وغاية الشعارات الإصلاحيّة التي أطلقها ومآلها وحركة المجتمع السوري عبر نخبه السياسيّة والثقافيّة التي نشطت وتفاعلت مع هذه الوعود في النقاشات والندوات والمنتديات التي ما كان حصادها سوى المرارة والخيبة. ثمّ سيعود في الفصل السابع من الكتاب لكي يسرد ويحلّل تاريخ السلطة السوريّة مع المجتمع السوريّ في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي، فيكشف آليّات تشكّل النظام في سورية وقواعد تصلّبه، وكيف تحقّق دمج البنية الاجتماعيّة بالأجهزة الأمنيّة، وكيف جرى صهر كليهما بأجهزة الدولة.

ورغم ذلك فقد بدأت الثورة السوريّة، ثورة مدنيّة، تتبنى خطاب المواطنة والديمقراطيّة، وقد كان ناشطو الثورة في التنظيم والإغاثة والإعلام من كافّة المذاهب، وكذا الحال في التعبيرات السياسيّة وهي التي ابتدأت بعد هرب الرئيس التونسيّ «بن علي»، وبعد سقوط الرئيس المصري «مبارك»، بكتابة الشعارات على جدران دمشق والتلّ ودرعا، مثل: «جاك الدور يا دكتور»، و»الله سورية حرّيّة وبس»، و»الشعب يريد إسقاط النظام» فانفلتت أجهزة الأمن بشنّ حملات الاعتقال لكلّ من يظنون به شبهة، وفيها تمّ اعتقال أطفال درعا الذين كانوا محركاً للتوتّر وكسر حذر المجتمع وتردّده، فتنامى الاحتجاج من تمرّد أهليّ محلّيّ إلى ثورة سياسيّة شاملة تنتشر وتتوسّع من درعا المدينة إلى ريفها، ثمّ إلى حمص فاعتصام ساحتها، وكيف انتهى، فالجمعة العظيمة وانتفاضة مدن الريف الدمشقيّ، ثمّ حشود الساحات الكبرى في حماه ودير الزور فإدلب ومدنها حتّى انخراط المدن المليونيّة حلب ودمشق بعد تردّد وتوجّس.

والكاتب يؤكّد مكرّراً في أكثر من موضع في الكتاب: أنّ الثورة السورية تفجّرت في مجتمع شديد التنوع والتركيب والتعقيد، ضدّ نظام سلطويّ رثّ، قام ويقوم على: «نمطٍ قاس من القمع الأمنيّ، وعلى تداخل الأمن والسياسة والاقتصاد، مولّداً فساداً منتشراً من القمّة إلى القاعدة، الفساد في سورية ليس استثناءً يحاربه النظام، أو يتساهل معه، بل هو القاعدة، إنّه النظام».

إنّ مجتمعاً على هذه الدرجة من التنوّع مع هكذا نمط من السلطة في موقع دولة ذات أهميّة استراتيجيّة قصوى، لابدّ أن يفتح الإمكانات لتسييس المذاهب والإثنيات ثمّ للاحتراب. والذي يزيد من هذا الاحتمال، اعتماد النظام على حلفائه الإقليميّين والدوليّين في مواجهة الثورة، ثمّ زجّه للجيش في حربه التي أعلنها على المجتمع، مستخدماً أسلحته الثقيلة وطيرانه وصواريخه، الحال الذي دفع الثورة إلى العسكرة فتنامى تدخل الخارج وتعدّد، مع تعدّد الفصائل المسلّحة، وتكاثر مجموعات الإجرام الجنائيّ.

إنّ الكتاب يتفرّد في عرض وتحليل استراتيجيات السلطة في تعريفها للثورة، وفي التعامل معها أمنيّاً وعسكريّاً وإعلاميّاً، فيحلّل المؤلّف خطابات بشّار الأسد، وتوجيهاته التي ترتكز على مفهوم المؤامرة الخارجيّة، والفتنة الطائفيّة، وعلى أنّ الدولة الحقّة هي التي تقدّم الخدمات بعد الولاء، وبغير هذا تكون دولة ضعيفة أمام الخارج، وهكذا فمن يحاول أن يفرض على الدولة مطالبه فإنّه يسعى إلى عمل خيانيّ خدمة لعدو خارجيّ، وعلى هذا فالنظام ممثّلاً برئيسه، يعلن أنّ سورية في حالة حرب ممّا يستدعي توظيف جميع القطاعات لتحقيق الانتصار على الإرهاب.

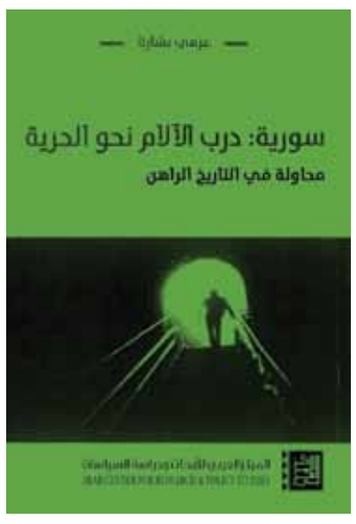

إلّا أنّ الكاتب يتخفّف من أدوات تحليله، فيقدّم عرضاً تفصيليّاً وصفيّاً لتاريخ المعارضة السياسيّة السوريّة قبل الثورة، ويعرض للفاعلين الجدد في الثورة، ولظهور التنسيقيّات، وأثر الإعلام الفضائيّ في الثورة ثمّ المبادرات والمؤتمرات وتشكيل المجموعات والهيئات، فتأسيس هيئة التنسيق، ثمّ المجلس الوطنيّ، فتأليف الائتلاف الوطنيّ ثم الحكومة المؤقّتة. ويشير خلال عرضه إلى أسباب تشرذم المعارضة من المناكفات إلى التنافس الشخصيّ والسعي إلى الزعامة حتّى اعتماد البعض على خيار التدخّل العسكريّ الغربيّ بهدف حسم الصراع وإسقاط النظام معتمدين على الخيار الليبيّ، واعتماد غيرهم على خيار الحوار الممكن مع النظام، وقد مرّ، برأي الكاتب، الوقت الكافي لتوضيح فشل الخيارين.

وكذلك هو الحال حين يعرض لمبادرات الحلّ السياسيّ، ولمواقف الدول المؤثّرة في الشأن السوريّ، بدءاً من جامعة الدول العربيّة وهيئة الأمم المتّحدة، وانتهاءً بإسرائيل مروراً بالولايات المتّحدة الأمريكية وروسيا، وتركيا، وإيران، والسعوديّة وقطر.

لا يحتاج قارئ كتاب /سورية: درب الآلام نحو الحرّيّة/ إلى حساسيّة فائضة كي يلتقط الأثر العاطفيّ في لغة الكتاب، ابتداءً من عنوانه الذي ينجدل فيه بُعدان: واقعيّ ومجازيّ، تاريخيّ وجماليّ، والذي حرّك سرديّة الكتاب التاريخيّة المعيّنة بموقع سورية الجيوسياسيّ، وتركيب مجتمعها المعقّد، وبطبيعة النظام فيها، فيتوتّر السرد ويتسارع في أغلب فصوله، وقد ينتقل من زمن إلى زمن كما فعل حين عاد بعد فصول من زمن بشّار إلى زمن أبيه. إضافة إلى الشهادات الحيّة للناشطين التي أثرت الكتاب بالانفعال والحركة وغنى مشاهد الدبكات والأهازيج والشعارات في الساحات والحواري، ثمّ عودة المؤلّف المتكرّرة لكي يذكّر برأي قد قاله، أو كتبه قبل الانزلاق إلى النتائج الراهنة، الحال الذي يؤكّد أنّ الثورة السوريّة قابلة للقراءة وللفهم، غير كثرة الهوامش وعلاقتها الحميمة بالمتن، فإنّ الكاتب يساجل آراء قد قيلت أو كُتبت لكي يؤكّد أنّ الثورة السوريّة امتداد للثورات العربيّة، وقد كانت أقرب للمثال التونسيّ في بدايتها، وأنّها قد تفجّرت رفضاً للإذلال وامتهان الكرامات وسعياً إلى الحرّيّة، وليس بفعل العوامل الاقتصاديّة التي كانت دائماً والتي لم يتعدّ دورها في الثورة دور العوامل المساعدة، وأنّ الذي فجّر الثورة، وأطّرها ونقلها من تمرّد أهليّ إلى ثورة سياسيّة، إنّما هي الطبقة الوسطى والفئات المهنيّة المثقّفة ذات الوعي السياسيّ في مراكز المحافظات والتي تفاعلت وتأثّرت بثورتي تونس ومصر.

والمؤلّف بمقارنة نقدية لمّاحة، يبرز التباين الذي حصل في مسار الثورة بين الافتراضيّ – الدعويّ وبين العيانيّ المركّب الحارّ: فقد دعت صفحات الفيسبوك إلى جمعة «غضب» في ١٨ آذار ٢٠١١، بينما انطلقت احتجاجات درعا في نفس اليوم تحت عنوان: «جمعة الفزعة والكرامة» التي استشهد فيها إثنان، فهبّت درعا لتشييعهم في يوم السبت ١٩ آذار، وفي هذه الهبّة أعيدَ النداء بشعار: «يللي بيقتل شعبه خاين» وشعار «الشعب السوري ما بينذل».

فاضل الفاضل

كلنا المؤلّف: عزمي بشارة

الناشر: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات

عدد الصفحات: ٦٨٧ صفحة من القطع الكبير

الطبعة الأولى: آب ٢٠١٣

من ذاكرة الصحافة

«نذير فنصة» صحافيّ سوريّ كان يرأس تحرير جريدة «ألف باء» الدمشقيّة الواسعة الانتشار. ثمّ أصبح لاحقاً عديلاً لـ»حسني الزعيم» قائد الجيش السوريّ، وكان شاهداً على ترتيبات الانقلاب العسكريّ الأوّل في سوريا. وبعد نجاح الانقلاب، عيّنه حسني الزعيم سكرتيراً خاصّاً له، وكلّفه بمهمّات ديبلوماسيّة سرّيّة خصوصاً مع الملك «فاروق» في مصر والملك «عبد العزيز « آل سعود في السعوديّة.

ويعتبر كتابه» أيّام حسني الزعيم: ١٣٧ يوماً هزّت سورية» نموذجاً للكتابة الصحفيّة المتخصّصة في السيرة الذاتيّة، ولكن القرابة التي جمعت فنصة بحسني الزعيم، والأدوار التي لعبها إلى جانبه آنذاك، تجعلنا نتحفّظ وبشدّة على معظم ما جاء في الكتاب. مع العلم أنّ الغالبيّة العظمى من كُتّاب السيرة الذاتيّة في اللغة العربيّة ضنينون إجمالاً بذكر الحقائق الخالصة، ولم يشذّ فنصة عن هذه القاعدة.

يقول فنصة: «كان الزعيم (حسني) مغامراً»... وكانت لدى رئيس الجمهوريّة (شكري القوتلي)، «تحفّظات كثيرة حول تقلّب مزاج الزعيم وسمعته كمغامر ومقامر»، وتؤكّد مصادر أخرى معاصرة تقييم فنصة فيما يخصّ مزاجيّة حسني الزعيم وتقلّباته قبل وقوع الانقلاب العسكريّ في ٣٠ آذار ١٩٤٩ وبعده؛ ويبدو أنّ تلك السمعة كانت منتشرة على نطاق واسع في الدوائر الدمشقيّة. ويذكر الصحافي فنصة في أكثر من موقع في كتابه أنّ «أكرم الحوراني» كان من أبرز مساعدي حسني الزعيم في الانقلاب: «كان أكرم الحوراني منهمكاً في إعداد البلاغات والبيانات التي صدرت في ذلك اليوم لتذاع من الإذاعة السوريّة» و»كان أكرم الحوراني هو الذي يخطّط له (أي لحسني الزعيم) هذه البيانات ويضمّنها ما يجول في رأسه هو، لا ما يجول في رأس الزعيم». بعد أسابيع قليلة على استتباب الأمر لحسني الزعيم، أقدم على التخلّص من مساعديه المقربين، «كان يمكن لسورية أن تحظى بأفضل دساتيرها، لكنّ الزعيم (حسني)، لما استتبّ الأمر له، حدثت القطيعة بينه وبين معظم الأحزاب والفئات السياسيّة».

فهل أثارت ديكتاتوريّة حسني الزعيم القلق؟ وهل أدّت ممارساته تلك إلى قرع ناقوس الخطر؟

وعلى صعيد سياسة المحاور القائمة في العالم العربيّ يومذاك، يقول فنصة: إنّ حسني الزعيم اختار محور مصر – السعودية في مواجهة المحور الهاشميّ الأردن – العراق، كما اتّخذ موقفاً عدائيّاً شرساً من مشروع «سورية الكبرى». قال حسني الزعيم في مؤتمر صحافيّ عاصف عقده بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٤٩: «هؤلاء (أي العراق والأردن) لم يعترفوا بالوضع الجديد في سورية، وإنّهم يتآمرون علينا، وقد أسفروا عن نواياهم العدوانيّة بحشدهم قوّاتهم على حدودنا بغية تحقيق مشروعهم». ويذكر هنا، أنّ الزيارة الأولى التي قام بها حسني الزعيم إلى الخارج كانت إلى مصر في ٢٢ نيسان ١٩٤٩، وقد أرادها أن تكون سرّيّة، وأسفرت عن اتفاق عُرف بـ «اجتماع أنشاص التاريخي». وفي اليوم التالي لعودة حسني الزعيم وسكرتيره الخاصّ نذير فنصة من القاهرة، توجّه هذا الأخير إلى السعوديّة للقاء الملك عبد العزيز، وكانت النتيجة اعتراف كلّ من القاهرة والرياض بنظام الحكم الجديد في دمشق.

- ولد «نذير فنصة» في حلب، عام ١٩١٨
- درس في مدرسة «اللاييك» في حلب.
- عمل محرّراً في جريدة «ألف باء» الدمشقيّة.
- عمل محرّراً في جريدة «الانقلاب» وجريدة «الأيام».
- في عام ١٩٥٤ أصدر جريدة «الناس» مع حسني البرازي واستمرّت لثلاث سنوات.
- في عام ١٩٥٨ غادر إلى إيران وأصدر هناك مجلّة باللغة العربيّة باسم «الإخاء» واستمرّت لمدّة ٢٠عاماً.

من مؤلّفاته

-عاصفة على الشرق الأوسط. (١٩٨١)

- أيّام حسني الزعيم: ١٣٧ يوماً هزّت سورية. (١٩٨٣)

-عالم بلا سياسة.

توفّي «نذير فنصة» في باريس سنة ٢٠٠٥

كلنا سوريون

كونشيرتو العندليب

دخان فحم، دخان سجائر، دخان مشاوي، بطاطا مقليّة بزيت بائتٍ يشكّل غيوماً كثيفة تسقط رذاذاً ملوّثاً في ليالي شتاء، كلّ هذا في مكان واحد ضمّنا بأحلامنا المؤجّلة أو اللاهثة لتقادم الزمن عليها، كان اسمه مطعم العندليب.

في حيّ من أقدم أحياء حلب، يسكن فسحة وسط المدينة، مدينة حملت عبق التاريخ، مرّ عليها الكثيرون: فُرس/ مغول/ سنابك خيل/ تتار/انكشاريّون/ عثمانيّون/ أكراد/ فاطميّون/ مماليك/ خونة/ مرتزقة/ عشّاق/ سياسيّون/ مبدعون/ بارونات..... كلّ مرّ من هنا، وكلّ ترك بصمة له في قلعة أو فندق، على حجر أو على درج أو تحت شبّاك خشبيّ في ساحة ضائعة معالمها حُبلى بالذكريات الأبديّة.

منذ ألف عام كانوا جميعاً هنا، طاولتهم موجودة رغم أنّ أكبرهم لم يتجاوز الخمسين من السنين، طاولة معتادة على لقائهم دائماً، بملل يرافقه صخب، بعض مشاهد من مسرحيّة ما، وبقايا شذرات شعر وشعراء. رفيق الطاولة الدائم سلام، الحالم بالكثير الذي لم يتحقّق، المزاجيّ لدرجة أنّ مزاجه ينفر منه، ينظم قصيدة أو يحلّق عالياً بعيداً مع السنونوات بفضاءات أحاسيسه غير المباحة إلّا له متنقّلاً ما بين الشوكة وشفة العرق. يأتينا حسين بطاقيّته الجوخيّة محمّلاً بذكريات لا تفارقه عن النشوة أو أغنية ثوريّة، أو مشهد مسرحيّ من سكّان الكهف، يحمل تحت إبطه أوراقه وآخر ما قرأ مطارداً حداثة المفردة الهاربة من جحيم الجمل، يهاتف جيجك بأنّ العزيمة على حسابه، فيأتينا الأسمر القصير بقبعة لاعبي البيسبول صنعها بيديه، مثل نابليون له دماغ فيلسوف وعادات فلاح، يأتينا هازئاً من لعنة الفقر ولعنة آخر الفلسفات في العالم، يسير على شواطئ رواياته غير العابئة به، ينتظر تطابق التكهنات الرقميّة لورقة اليانصيب الهاربة مع الهواء في أزقّة مغبرّة، يسبح في تلك الأرقام والأبراج ويُسخّر كلّ الفلسفات تحت إبطيه ويخيطها من جديد حسب مدارته. الطاولة المعتادة لا تكتمل إلّا بحضور النجار، الذي لا يعرف من تلك المهنة إلّا أنّها كنيته، يدخل بطيء الخطوة بتسريحة شعره المنصب بشكل سينمائيّ، دائم التشاؤم حتّى في قصائده، يبدأ بصبّ العرق وببعض قطع البطاطا زافراً زفرات الهروب من دروس الفلسفة والدورات الخصوصيّة البليدة، وكأنّه هنا يهرب من تنفيذ عقوبة السجن المؤبّد. تميم المحامي الذي يدفع أجرة موكليه من جيبه يدخل بعنفوان جميل مبتسم للقائه اليوميّ مبتدأً بجملة ضاحكة أو مشهد كوميديّ حدث معه أو مع أحد أصدقائه في المحاكمات غير المنتهية في سرايا حلب. ولا ننسى بشار بحضوره المسرحيّ العفويّ ولهجته الحلبيّة العريضة يتعامل مع أصدقائه كما مع نصوصه المسرحيّة بحذر وحنان.

يبدأ الكونشرتو بإيقاعات الكؤوس وعزف القداحات لإشعال السجائر المختلفة مع صراخ النادلين الذين يخدمون الزبائن الدائمين، زعيق دائم لصافرات السيارات وأصوات الباعة الجوّالين، بعد عدّة كؤوس أو عدّة رشفات تتفجّر النشوة وتأتلق الذكريات وتحتدم النقاشات، يختلفون أو يتفقون، تعلو أصواتهم أو تهمس همساً، لكنّهم ما فتئوا يعلنون تمرّدهم أو ثورتهم ويحاولون بناء قلاع أحلامهم على تلك الطاولة.

اليوم لا العندليب بقي يغرّد، ولا طاولة الأصدقاء باتت تلمهم، كلّ صار في حيّز جديد وبعيد... هي لوحة رسمها الزمن في حلب وأنا نسختها من زاوية ما من ذاكرتي وذاكرة مدينة كنّا منها وهي منّا.

عدنان حمورابي

مقام القصب

سعيد عقل

طالَتْ نَـوَىً وَ بَكَى مِن شَوْقِهِ الوَتَرُ ... خُذنِي بِعَينَيكَ وَاغـرُبْ أيُّـها القَمَرُ
لم يَبقَ في الليلِ إلا الصّوتُ مُرتَعِشاً ... إلا الـحَـمَـائِـمُ، إلا الـضَـائِـعُ الـزَّهَـرُ
لـي فيكَ يـا بَـرَدَى عَهدٌ أعِيـشُ بِـهِ ... عُـمري، وَيَسرِقُني مِـن حُـبّـهِ العُمرُ
عَـهدٌ كـآخرِ يـومٍ فـي الخريفِ بكى ... وصـاحِـبـاكَ عليهِ الـريـحُ والمَـطَـرُ
هنا الـتّـرَابـاتُ مِـن طِيبٍ و مِـن طَـرَبٍ ... وَأيـنَ في غَيرِ شـامٍ يُـطـرَبُ الحَجَرُ؟
شـآمُ أهـلـوكِ أحـبـابـي، وَمَـوعِـدُنـا ... أواخِـرُ الصَّيفِ ، آنَ الـكَـرْمُ يُعتَصَرُ
نُـعَـتِّـقُ الـنـغَـمَـاتِ البيضَ نَرشُفُها ... يـومَ الأمَـاسِـي ، فـلا خَـمرٌ ولا سَـهَرُ
قد غِبتُ عَنهمْ ومـا لـي بالغيابِ يَدٌ ... أنـا الـجَـنَـاحُ الـذي يَلهو بـه السَّفَرُ
يـا طـيِّـبَ الـقَـلـبِ، يـا قَلبي تُحَمِّلُني ... هَـمَّ الأحِـبَّـةِ إنْ غَـابـوا وإنْ حَـضِـروا
شَـآمُ يـا ابـنـةَ مـاضٍ حـاضِـرٍ أبـداً ... كـأنّـكِ السَّيفُ مجدَ الـقولِ يَخْتَصِرُ
حَـمَـلـتِ دُنـيـا عـلى كـفَّـيكِ فالتَفَتَتْ ... إلـيكِ دُنـيـا ، وأغـضَـى دُونَـك الـقَـدَرُ

لكلّ مقام مقال

الثورة بعدسة الكاميرا

لم يـؤرّخ ويـوثّـق شيء للثورة السوريّة كما فعلت الكاميرا.. تلك الآلة الصغيرة التي تعتبرُ اليوم في سوريا أخطر ما يحمله الناشط سواء بالنسبة للنظام أو لداعش التي اعتقلت من الناشطين والمصوّرين أكثر ممّا فعل النظام.

وحدها الصورة كانت كافية لتتحدّث بكلّ مالا يمكن قولهُ أو كتابتهُ أو حتّى الصراخ به، عدسة صغيرة بيد مصور هاوٍ أو محترف لا يهمّ وبعدها تُعادُ صياغة الحدث بطريقة مختلفة، ذات الخبر ربّما تقرؤه من نشرة الأخبار الرئيسيّة دون أن يُلفت نظرك كثيراً، ربّما تقرؤه بزاوية جريدة أو موقع الكترونيّ وتعبره مرور الكرام، لكن حينما يكون الخبر صورة مأخوذة من قلب ذاك الخراب، صورة توثّق لكلّ الجرائم والانتهاكات وتوصل صوت المقتولين لكلّ العالم الأصمّ، حينها فقط تستحقّ الصورة أن تكون أرشيفاً كاملاً تُدين أو تبرّئ، فهي وحدها تتحدّث بكلّ لغات العالم، بكلّ وجع أصحابه ودمارهم دون الحاجة للترجمة.

الصورة هُنا، في سوريا، في ظلّ الثورة لم تكن مجرّد لقطة عابرة، إنّما تأريخ للحظة الألم، لحظة الفقدان، للحظة الموت القريب... لحظة النجاة والأمل..

من منّا يستطيع أن ينسى باسل شحادة الذي كان لعدسته الدور الأساسيّ في نقل صورة حمص إلى العالم، باسل الشابّ الذي لم يتجاوز ٢٨ عاماً (شهيد الضوء والصورة) كان لعدسته الدور الأكبر بتوثيق الثورة بحمص ونقل ما يحدث هناك.. فكانت عدسة شابّ حمصيّ بداية لعدسات أخرى.. لعدسة شابّ حلبيّ، عدسة شابّ دمشقيّ، وكلّها عدسات تشترك في هدف واحد.. توثيق الثورة حتّى لا يُنسى شيء.

فالعدسة التي كانت خلف الثورة وأمامها دائماً، أعطت للمشهد الثوريّ أبعاداً أخرى غير الصورة التي تخرج للعالم عن سوريا، مجرّد صراع طائفيّ أو مذهبيّ بين السلطة الحاكمة ومجموعة مسلّحين، لقد مَنحت الصورة لتلك التفاصيل الإنسانيّة المدمّرة قيمة أعمق وأفقاً مفتوحاً أبعد من الصراع الدائر، فالصورة التي التُقطت لمجموعة من السوريّين في حلب وهم مرفوعو الرؤوس للأعلى وكأنّهم مشدودون بخيط بانتظار البراميل. أكاد أجزم أنّ تلك الصورة لخّصت كلّ مراحل الانتظار والوجع والدمار السوريّ منذ ثلاثة أعوام وأكثر بلقطة واحدة.

ليس بعيداً عنها صور المجاعات والحصار في مخيّم اليرموك وحمص، حيث كانت أقوى من كلّ التقارير والملفّات المكتوبة عن الحصار في تلك المناطق.

أن تتحوّل الصورة إلى ذاكرة جمعيّة ليس بالأمر السهل، فهي أصبحت مع مرور الوقت ذاكرة ألمٍ أكثر من كونها تعبيراً عنه، بالإضافة أنّ كثرة تداول الصور في مواقع الأنترنت جعلنا أقلّ إحساساً بفظاعة الحدث، فيوماً بعد أخر تعوّدنا رؤية الصور التي توثّق فيها كيفيّة استباحة كلّ المقدّسات، حتّى كأنّها أصبحت جزءاً من يوميّاتنا وخرابنا المعاش. ولذا نجد بمقدار ما قدّمت الصورة والمصوّر الكائن خلفها تأريخاً هامّاً للحدث وتوثيقاً لا يستهان به للغد، بمقدار ما جعلتنا نتعوّد رؤية الخراب والدمار بمشهديّة أصبحت أقلّ من عاديّة.

وداد نبي

التعليم... ملفّ شهر تمّوز

مع العدد القادم من جريدة «كلّنا سوريّون» الذي سيصدر في الأوّل من تمّوز، ملفّ خاص بالتعليم، من محاوره:

المناهج الدراسيّة وتعديلاتها، هيمنة الإيديولوجيا على التعليم، طلّابنا والاعتراف بشهاداتهم، حال التعليم في المناطق المحرّرة، ومواضيع عديدة أخرى، ننتظر كتاباتكم واسهاماتكم لإغناء هذا الملفّ بالنظرة الموضوعيّة والتحليل العلميّ لنرتقي بمستوى التعليم لأبنائنا في سوريا الجديدة.

نكزة

أملي كبير جداً في بدايات الثورة بمن تنطحوا وتنطعوا وتصنبعوا للقيادة.... لكن خيبة الأمل كانت بحجم خيبة أمل سائق سرفيس انتظر من الصباح حتى الثالثة ظهرا أربعة عشر مسافرا: فلم يأت منهم أحد.

الطيار الوطني الشريف ابن امه البار... يطير على ارتفاع منخفض فوق حلب لاعبا بخفة مع ضوء البدر في ليل الشعار الجميل وهمه الأخير هدهدة الأطفال في أسرتهم التي نقلها الأهل إلى الأدوار الأرضية والأقبية.... وقد بدأ بعزف أغنية فرير جاك!!! **من صفحة محمد محمود**

يستكمل الشاعر والروائيّ السوريّ عمر قدور برواية «من لا يعرف سيمون» مشروعه الروائيّ فيغوص بها في عوالم تشتبك فيهما الجريمة بالنفوذ السياسيّ، وعوالم شركات الإنتاج والفن والفنانين، بسرد رشيق ورغبة بتعرية المسكوت عنه، وكشف المستور في داخل العلاقات المجتمعيّة ومنظومة بنائها، في ظلّ القمع والخوف والاستبداد في حضرة دولة البوليس والحزب الأوحد.

عمر قـدور روائـيّ سـوريّ، وتعتبر من لا يعرف سيمون الرواية الرابعة لقدور بعد حواف خشنة ٢٠٠٢، أسماء للنسيان ٢٠٠٧، هواء فاتر.. ثقيل ٢٠٠٨.

الكتاب صادر عن دار نون للنشر عام ٢٠١٣ وتقع الرواية ١٠٧ صفحة من القطع المتوسط.

صدرت رواية «مغلق للصلاة» للشاعر والروائي السوري مصطفى سعيد عن دار ميريت للنشر والتوزيع في القاهرة، وهي الرواية الثالثة له والإصدار الأدبي العاشر.

تغوص هذه الرواية في تفاصيل وخفايا حياة وأسرار بعض القياديين في تنظيم القاعدة لتدمج الحالات الإنسانية المثلى المتصادمة مع مبادئ التنظيم والطاعة لولي الأمر أمام العجز المجتمعي لمقاومة أساليب العنف المطبق على المرأة أسرياً ومجتمعياً والـذي يدفع بها أحياناً نحو خياراتٍ مرَّة تظهر بين سطور رواية مدهشة تصلح حتماً لأن تكون من أهم الاعمال الدارمية أو السينمائية التي تعالج آفة الإرهاب. والكتاب صادر في عام ٢٠١٤.

سمعنا، شفنا.. وبدنا نحكي

سمعنا..

السيّد علي صدر الدين البيانوني المراقب العام السابق لجماعة الأخوان المسلمين في سوريا انسحب من الائتلاف، وبالمشرمحي حرد من الائتلاف ومن أحمد الجربا ورمى استقالته بوجههم، والسبب كيف بيبعت الائتلاف برسالة تهنئة للسيسي اللي انقلب ع حكم الأخوان بمصر وحطهم بالسجون (وأنا ع فكرة أعتبر ما قام به السيسي انقلاب حقيقي على الشرعية وعودة من الشباك لحكم العسكرتاريا بعدما طردهم الشعب من الباب) بس هي قصة وقصة حرد عمنا البيانوني قصة لحالها، يعني شيخنا وكأنه عم يخبرنا أن العلاقة مع التنظيم أهم من العلاقة مع الوطن، وما حدا يحاول يجي صوب الجماعة لأن الزلمة بيحرد ع السريع!! طيب يا عمنا ليش ما انسحبت أو حردت بعد شي وحدة من أخطاء الائتلاف بحق شعبنا السوري وحميت الحديدة وقت اللي وصل البل لدقن الجماعة... عمي الشيخ بس سؤال: أنت سياسي مخضرم وصار عمرك ٧٥ سنة ويمكن صار من الصعب ترضى وتسحب استقالتك وتتراجع متل ما بصير بالعادة؟!

رح ننتظر ونسمع

شفنا..

بيان صادر عن الجبهة الإسلامية يقضي بإلغاء قرار سابق بتشكيل لجنة طبية تابعة لمديرية صحة حلب في معبر باب السلامة وإعادة حصر هذه المهمة من جديد بالمكتب الطبي التابع للجبهة الإسلامية، طيب شو رح نفهم من هالحكي؟ وليش السادة في الجبهة لحسوا قرارهم السابق؟ يعني اللجنة الطبية التابعة لمديرية صحة حلب خرقت القوانين مثلاً؟ ارتكبت أخطاء فاحشة مثلاً؟ ولا السادة الحجاج بالجبهة الإسلامية اكتشفوا أن معبر باب السلامة خط أحمر وما بدهم حدا يشاركهم في إدارته، حتى لو كان طبيب، يمكن ما بدهم حدا يعرف أو يكشف شو اللي عم يصير على هالمعبر ومين اللي عم يستفيد وشو عم يستفيد، وعلى قولة أمي: «السر اللي بيعرفه اكتر من واحد ما عاد سر» والشباب الطيبة يحبون الأسرار وقضاء حوائجهم بالكتمان!!!

بدنا نحكي..

من يوم ما صار عندنا نحن السوريين تشكيلات سياسية معارضة ونحن هي قصتنا: فلان حرد وعلتان زعل، وبعد كم يوم بكون علتان وفلان تراجعوا تحت ضغط المطالب الشعبية والمصلحة العامة، يعني وببساطة يستحق ساستنا دخول موسوعة غينيس بعدد تقديمهم الاستقالات ومن ثم لحسها.

وبالنسبة للحجاج في الجبهة الإسلامية يا شباب فينا نقرا قراركم بسحب قراركم بأنه تقويض لبنيان مؤسسات مدنية ناشئة؟ أو نقراه بأنه تكريس لدور دول الكتائب المسلحة وأمـراء الحرب؟؟ أفيدونا أفادكم الله!!

حسين برو

المدير العام
توفيـق دنيـا

هيئة التحرير
بسّام يوسف - حسين برو - بشّار فستق - منير الأيّوبي
غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة

فريق العمل
الموقع الإلكتروني : محمّد نجّار
سكرتاريا : نور العبدالله
الترجمة : مها الخضّور

الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب
و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة

newspaper@allsyrians.org
www.allsyrians.org